مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية https://journal.ziu-university.net

30/08/2024
المجلد الأول

العدد الخامس والعشرون م.1 : ص.ص483 -529 ISSN: 2958-8537 Issue: N25

Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

الأسباب السياسية للصراعات القبلية في السودان
بالتطبيق على حالة دارفور

The Political Causes of the Tribal Conflicts in Sudan: the Case of Darfur

عبدهـ مختـار موسى

بروفيسور في العلوم السياسية

جامعـة امدرمـان الإسلاميـة- السودان

Abdu Mukhtar Musa

Professor of Political Science – Omdurman Islamic University - Sudan

drmukhtar60@gmail.com

mukhtar60@oiu.edu.sd

https://orcid.org/0000-0002-5927-8344

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية https://journal.ziu-university.net

30/08/2024
المجلد الأول

العدد الخامس والعشرون م.1 : ص.ص483 -529 ISSN: 2958-8537 Issue: N25

Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

المستخلص:

يتناول هذا البحث مصادر وأسباب النزاع والصراع القبلي في السودان بصورة عامة مع التركيز في حالة دارفور. يحاول البحث مناقشة سؤال محوري هو: مَن المسؤول عن النزاعات القبلية في السودان؟ ويناقش فرضية أساسية هي: إن تسييس القبلية يشكل أحد أهم أسباب تصاعد النزاع القبلي في السودان. ويستعرض البحث مفاهيم النزاع والصراع والصراعات القبلية والتعصب في السودان بصورة عامة ثم في دارفور. كما يقدم نماذج بالأرقام للعنف القبلي الدموي في دارفور عبر فترة تاريخية طويلة. ثم يتناول "تسييس القبلية" كأحد أقوى الأسباب في إشعال الصراعات القبلية إضافة إلى الأسباب التقليدية مثل الصراع حول مصادر المياه والموارد والأراضي إضافة إلى تدفق السلاح من دول الجوار مثل شاد وليبيا، فضلا عن ظهور الحركات المسلحة في نهاية الألفية الثانية وبداية الألفية الثالثة والتي قامت على قبلي في صراع مسلح ضد المركز بحجة أنه مارس ظلما على أقاليمهم على أسس عنصرية وإثنية. ويرى البحث على النخب السياسية الحاكمة أن تتعامل بحياد مع مكونات المجتمع وتتوقف عن تسييس القبيلة وأن لا تتدخل في الإدارة الأهلية كما عليها أن جمع السلاح وتعيد النظر في نظام "الحواكير" ونظم توزيع وامتلاك الأراضي. كما عليها أن تحقق العدالة والتنمية الشاملة.

الكلمات المفتاحية: القبيلة، القبلية، النزاع، الصراع القبلي، تسييس القبيلة، الإدارة الأهلية، دارفور، السودان.

Abstract:

This article tries to explore the political drivers of the tribal conflicts in Sudan with especial emphasis on Darfur**.** It tries to answer a central question: Who is responsible for the tribal conflicts in Sudan? It also discusses a hypothesis: the politicization of the tribe constitutes one of the major reasons of the dramatic escalation of the bloody tribal conflicts in Sudan. The article reviews key concepts such as dispute, conflicts and tribalism in general and with special reference to Darfur. It provides figures and evidence-based analysis to verify the hypothesis. It also deals with the politicization of the tribe in Sudan as a major cause for igniting tribal conflicts besides other traditional reasons such as – dispute over water resources, grazing areas, land tenure (*Hawakeer),* along with flow of weapons from the neighboring countries notably Chad and Libya. The situation was aggravated with the emergence of the armed movements in Darfur which were mainly formed on tribal basis though the cause is one and general. They took arms against the central government as they

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية https://journal.ziu-university.net
30/08/2024
المجلد الأول
العدد الخامس والعشرون م.1 : ص.ص483 -529 ISSN: 2958-8537 Issue: N25
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

believe that they are discriminated on ethno-regional and racial basis. The article calls upon the ruling political elites to adopt a neutral approach towards the various components of the society. The government should stop politicizing the tribe, should not intervene in the tribes' internal affairs (the native administration), collect weapons hold unlawfully with the citizens (or tribes men), reform the system of land acquisition (cancel the *Hawakeer* tradition), and above all to achieve equitable and comprehensive development to put an end to the lack of justice and grievances that trigger insurgency.

Key words: tribe, tribalism, tribal conflict, politicization of tribe, native administration, Darfur, Sudan

مقدمـــة:

كما هو الحال في معظم الدول العربية وكل دول العالم الثالث تقريباً تشكل البنية القبلية حقيقة أنثروبولوجية وخاصية سوسيولوجية في السودان. ورغم مظاهر التطور والحداثة في مناطق كثيرة في السودان – المدن الكبرى والمناطق الحضرية – إلا أن القبيلة والبنية القبلية في السودان ما زالت تحافظ على كيانها كبنية نفسية وثقافية تؤطر أنماط السلوك – بما في ذلك السلوك والسياسي – ولها نفوذ على الثقافة السياسية وعلى العملية السياسية في السودان. وقد زاد ذلك في العقود الثلاثة الأخيرة – فترة حكم الحركة الإسلامية في السودان – بصورة كبيرة بسبب تسييس القبيلة وأثننة السياسة، كما تكشف هذه الورقة بالأرقام والتحليل.

من ناحية عامة يجب التمييز بين "القبيلة" و"القبلية". فالأولى تشير إلى كيان اجتماعي حامل للقيم ورابط بين الجماعة يوفر لها الحماية والمصالح. أما القبلية (Tribalism) فهي تنطوي على عصبية. حيث يصبح لها مدلول هُويوي – أي يعطي عضو القبيلة احساساً وإدراكاً بأنها تشكل له هوية تطغى على الهويات الأخرى بما فيها الهوية الوطنية. وتصبح هي نزعة وتشكل لأعضائها تصورا بوجود حدود اجتماعية وحدتها الأساسية هي القبيلة. وبما أنها ترتكز إلى تقاليد وقيم وأخلاق ونظام وهيكل فيه توزيع للسلطة (مثل زعيم القبيلة والناظر والشيخ والعمدة)، فهي إذن تأخذ طابع المؤسسة السياسية. هذا يعني النظر للقبيلة بمثابة أنها وحدة سياسية أو كيان سياسي (polity)

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية https://journal.ziu-university.net
30/08/2024
المجلد الأول
ISSN: 2958-8537 Issue: N25 العدد الخامس والعشرون م.1 : ص.ص483 -529
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

أولاً: حول المفهوم:

(أ): تعريف القبيلة:

يعرف ريفرز (**Rivers**) **القبيلة** "Tribe" في الموسوعة البريطانية (1971) على أنها: "جماعة اجتماعية من نوع بسيط تتكلم لهجة واحدة لها سلطة واحدة تتحد في رد الفعل مثل السلوك في المواقف المتعلقة بالحرب."

عرّف قاموس أكسفورد القبيلة على أنها "جماعة من الناس يشكِّلون مجتمعاً ويعلنون أنهم ينحدرون من جد أوسلف مشترك." عموماً ينظر الفكر الغربي للقبيلة على أنها كيان جامد وغير قابل للتطور، فهي بنية تقليدية يتعين تحطيمها لا تطويرها لأنها نقيض التطور والتقدم، ولذا فإن عملية التحديث بجوانبها المتعددة كفيلة بتحطيم هذا الكيان (القبلي) الراكد والمعيق لتطور المجتمع وتقدمه.[1]

كذلك يشير البعض إلى أن القبيلة هي "الحالة التي يشعر فيها الفرد بأنه منظم في (ويدافع عن) قبيلته. وفي السياق الثقافي تشير إلى طريقة التفكير والسلوك والتي يكون فيها ولاء الأفراد للقبيلة أكثر من انتمائه للأصدقاء، أو للوطن أو أية جماعة اجتماعية."[2]

كما يعرِّفها آخرون بأنها "طريقة للمعيشة تقوم على مزيج من تنظيم مؤسس على صلة القرابة، والتبادل، وانتاج يدوي، اتصال شفوي...".[3]

---

[1] الرشيد رمضان سعد الله، أثر الإثنية على النزاعات في أفريقيا: دراسة حالة السودان (دارفور نموذج)، رسالة ماجستير في العلوم السياسية، جامعة امدرمان الإسلامية، 2008، ص 26.

[2] http://oxforddictionaries.com/definition/english/tribalism?q=tribalism Definition of tribalism; [http://www.macmillandictionary.com/dictionary/british/tribalism Definition of tribalism by Macmillan dictionary

[3] James, Paul (2006). Globalism, Nationalism, Tribalism: Bringing Theory Back In. London: Sage Publications.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية https://journal.ziu-university.net
30/08/2024
المجلد الأول
العدد الخامس والعشرون ISSN: 2958-8537 Issue: N25 م.1 : ص.ص483 -529
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

تنطوي **القبلية** "tribalism" على هوية ثقافية وإثنية قوية تميز أعضاء جماع ما من أعضاء جماعة أخرى. ومع وجود علاقات جوار وقرابة قوية، يتوافر لأعضاء القبيلة إحساس قوي بالهوية. ومن ناحية موضوعية لكي يتشكل المجتمع القبلي التقليدي يجب توافر تنظيم عُرفي مستمر ونظام للتبادل. وهناك بُعد عاطفي يتمثل في وجود احساس قوي بالهوية المشتركة يمكن أن يقود الناس للشعور بأنهم مرتبطين قبلياً to feel tribally connected..."[4]

تُعَـــرَّف "القبيلة" في اللغة العربية، على أنها جماعة من الناس تنسب إلى أب أو جد واحد، مثل قبائل العرب؛ ويقال الشعب أكبر من القبيلة ثم البطن ثم الفخذ. والقبيلة من الحيوان والنبات يعني الصنف منها. ويقال رأيتُ قبائل من الطير أي أصنافاً، وقبائل الشجرة أعضائها.[5]

أما "القبيلة" في الإصطلاح، هي جماعة من الناس ينتمون حقيقية أو وهماً إلى أصل مشترك ،يشعرون بانتساب إلى أب أو جد أعلى. كنظام هي نظم اجتماعية ذات أحجام مختلفة ومستويات متعددة. فمن الفرد إلى الأسرة فالفخذ فالبطن، فالعشيرة فالقبيلة. كل من هذه التقسيمات له أنماط تفكير وسلوك خاص وعام وتحكمه ضوابط ومعايير المجتمع بأكمله. وهذه المعايير تنظم المعاملات المختلفة للأفراد والجماعات الاجتماعية.[6]

يمكن أن تكون هناك عدة قبائل تنحدر من سلالة واحدة. وبالتالي يمكن النظر لمجموعة قبائل على أنها مجموعة إثنية (عرقية) واحدة (أنظر الشكل التالي).

---

[4] .Kanakasena Dekā; Kanakasena Ḍekā (1993). Assam's Crisis: Myth & Reality. Mittal Publications. pp. 90.

[5] جمال الدين أبو الفضل محمد (ابن مظور)، لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون، القاهرة: دار المعارف، الجزء الخامس ص3519.

[6] د/ إدريس سالم الحسن، رؤى سودانية ، مرجع سابق، ص 203

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية https://journal.ziu-university.net
30/08/2024
المجلد الأول
العدد الخامس والعشرون م.1 : ص.ص483 -529 ISSN: 2958-8537 Issue: N25
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

يمكن التعبير عن ذلك في هذا الشكل الذي يوضح انتماء الفرد إثنولوجياً:

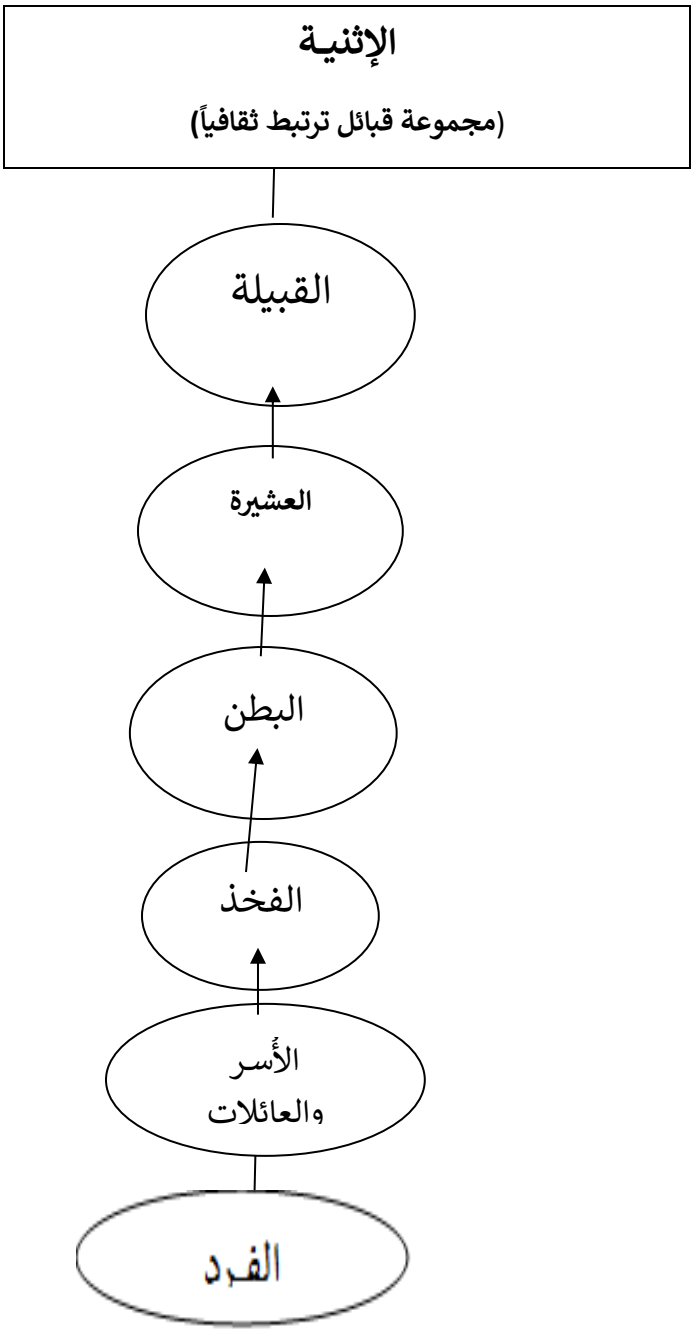

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية https://journal.ziu-university.net
30/08/2024
المجلد الأول
العدد الخامس والعشرون م.1 : ص.ص483 -529 ISSN: 2958-8537 Issue: N25
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

لعل الأساس في تعريف القبيلة في المنظور الغربي هي رابطة القرابة والانتماء إلى الأب المشترك؛ إلا أن وحدة القبيلة لا يمكن إرجاعها إلى صلات القربى وحدها فالقبيلة بها الغرباء من أبنائها وفيها من لا ينتمون إلى جد القبيلة مثل المستلحقين من القبائل الأخرى كما فيها من لا ينتمون إليها بصلة نسب كالموالي (أي الرقيق). هناك ثمة رابطة تجمع أبناء القبيلة كلهم جميعها وتدفعهم للتمسك بقبيلتهم والدفاع عن كيانها. والواقع أن القبيلة تعتبر الوحدة الأساسية للتنظيم الاجتماعي في المجتمع العربي قبل الإسلام فهي تتواجد في الصحاري والقرى كما في الحواضر والمدن.[7]

من ناحية تراتبية اجتماعية أو هيكل تنظيمي (hierarchy) تضم القبيلة مستويات مختلفة في التنظيم الاجتماعي متسلسل تشكل تنظيماً منقسماً إلى شرائح اجتماعية متعددة وفق ترتيب داخلي يشتمل على الفئات التالية:[8]

1/ زعماء القبيلة ومشايخها يمثلون السلطة السياسية والناطقين السياسيين باسم قبائلهم .

2/ الفرسان أو المحاربون: وهم القاعدة العسكرية للقبيلة، وهم من أبناء القبيلة، وهم في الغالب أبناء زعماء القبائل والبطون والأفخاذ والأسر والعائلات.

3/ العامة: وهم سواد القبيلة و حاملو الأعباء فيها كالرعاة والزراعيين والحرفيين.

4/ العبيد: وهم موالي القبيلة، والملحقين بها يشاركونها سراءها وضرّاءها.

7 فؤاد اسحاق الخوري ، السلطة لدي القبائل العربية، بيروت دار الساقي ، ط (1)-1999 ص 13 في: الرشيد رمضان، أثر النزاعات... المصدر السابق، ص

8 مسعود صاهر، المشرق العربي من البداوة إلي الدولة الحديثة، بيروت معهد الإنماء، ط (1) 1986، ص35-33

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية https://journal.ziu-university.net
30/08/2024
المجلد الأول
العدد الخامس والعشرون م.1 : ص.ص483 -529 ISSN: 2958-8537 Issue: N25
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

وهكذا فإن وحدة القبيلة لا تنفي التخصص الفئوي بين أفرادها، ووفقاً للتقسيم أعلاه، تتم التوازنات الاقتصادية والاجتماعية للقبيلة ودورها السياسي. فلكل فرد في القبيلة موقع اجتماعي خاص به، يصعب تجاوزه بسبب الموروث القبلي الذي يمثل الضباط القانوني لعمل القبيلة العربية.

إن الإنتماء القبلي كان بمثابة ميثاق يلتزم به أفراد القبيلة، وكانت القبائل العربية تخلع من لا يلتزم بالسلوك القبلي السليم. ولقد كانت عادة الخلع هذه بمثابة قانون يحكم سلوك الأفراد ويلزهم بطاعة سلطات شيخ القبيلة وإلا حُرِموا من العيش وسط القبيلة وفرضت عليهم العزلة لأنهم متمردين على ميثاق الالتزام بمكارم الاخلاق. وكان الخلعاء تهدر دماؤهم في بعض الأحيان، وتعلن القبيلة أنها لن تطالب بدم الخليع إذا ما قتل، ويعش هؤلاء الخلعاء في بؤس وشقاء ويسمون بالصعاليك.[9]

عندما جاء الإسلام وجد المجتمع العربي يقوم بصورة أساسية على القبيلة اعترف أو أقر الإسلام الأساس البيولوجي للقرابة وصلة الدم والقربى الرحمية وجعل آصرة الدم أساسا للتراحم والتلاحم والود والبر والإحسان.[10] يقول الله تعالى: **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ.**[11] أقر الإسلام بتعدد الألسنة والشعوب و الأقوام والقبائل، كما أوضحت الآية الكريمة.ولذا فقد جاء الإسلام مشروعا توحيدياً شاملاً لهذه الروابط المتعددة باعتبارها جزء من الكل بحيث نظَّم وجودها ودورها ضمن المجتمع الموحد الذي جاءت به العقيدة الإسلامية. لقد سلك الإسلام في تعامله مع المجتمع العربي (القبلي) طريقين متوازيين.

الأول : الإبقاء على الأشكال والتنظيمات الاجتماعية القائمة مع تطوير وتغير مضامينها. فقد أبقى الإسلام على القبيلة ولم يلغ الأسس التنظيمية، بل حيَّد مضمونها الانطوائي أو الولائي وأخرج القبيلة في صياغة تنظيمة جديدة مكنها من

9 زكريا بشير أمام ، مقال دورية دراسات أفريقيا، مركز البحوث والترجمة ، ص46؛ في الرشيد رمضان، المصدر السابق، ص

[10] الرشيد رمضان، المصدر السابق، ص

[11] سورة الحجرات، الآية، 13.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية https://journal.ziu-university.net
30/08/2024
المجلد الأول
العدد الخامس والعشرون م.1 : ص.ص483 -529 ISSN: 2958-8537 Issue: N25
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

بعث القوي الكامنة فيها، وانتقل بها إلى مستوى حضاري أرقى، حيث حافظ على قيمتي التماسك والتضامن مع تقديم الأسس القائمة عليها لتحل رابطة الولاء للعقيدة محل رابطة النسب والدم.

الثاني : بلور أشكال تنظيمية جديدة فقد جاء الإسلام بمفهوم الأمة الإسلامية، كشكل اجتماعي ارقي، متجاوزا القبيلة – تطويراً لا إلغاءً، لأن الأمة كمفهوم يعلو فوق القبيلة، ولكن لا يلغيها إذ ليس من شرط قيام الأمة انتفاء القبيلة. الأمة تتكون من المسلمين كأفراد متضامنين فإنه ليس ثمة ما يحول دون احتفاظ هؤلاء الأفراد بارتباطهم بالقبيلة كإطار اجتماعي داخلي. ولذا فقد سعى الإسلام إلى إقامة الوحدة بين فئات الأمة وليس دمجاً لهذه الفئات أو إذابة لها. ومن ثم حدث تدرج في الانتماءات وارتقاء الولاء إلى مستوى أعلى وأسمى بعد كانت الانتماءات الفردية تتطابق مع الولاءات وتنحصر حول محور القبيلة فحسب، أصبح قيام الأمة الإسلامية يمثل تعددا في الانتماء (من القبيلة إلى الأمة) أما الولاء فقد تم توحيده وصار خالصاً للأمة المجسِّدة للأخوَّة الإسلامية.

(ب): الفرق بين النزاع والصراع:

الصراع هو القانون الطبيعي الذي يحكم الحياة. عندما يوجد فرد واحد يوجد سلام. عندما يوجد اثنان يكون هناك صراع (قابيل وهابيل). وعندما يكون هناك ثلاثة يكون تحالفات.. فعالم النفس سيجموند فرويد يرى أن الصراع يمكن أن يكون حتى مع النفس. أما دارون فيرى أن الصراع هو مع الطبيعة؛ بينما يتحدث ماركس عن صراع طبقي.

حتمية الصراع تستلزم ضرورة إعمال العقل في كيفية إدارته منذ طوره الأول عندما يكون نزاع يمكن احتاؤه بالحكمة. وعلى مستوى الدولة تصويب السياسات نحو مخاطبة جذوره والقضاء على مصادره وأسبابه الأساسية.

يرى جون بيرتون (John Burton, 1990) إن النزاع يشير إلى "خلاف في المدى القريب والذي قد يصل إلى نوع من الحل، وتنطوي فترة النزاع على قضايا يمكن التفاوض حولها negotiable. أما الصراع (conflict) فهو بعيد المدى وينطوي على قضايا جدلية وخلافية عميقة الجذور والتي تكون عصية على التفاوض(non-negotiable)." هذا يعني أن ما لا يقبل التفاوض يترسخ في الذهن وتكون عملية تغيير هذه الفكرة أمراً صعباً إذا لم تكن مستحيلة.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية https://journal.ziu-university.net
30/08/2024
المجلد الأول
العدد الخامس والعشرون م.1 : ص.ص483 -529 ISSN: 2958-8537 Issue: N25
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

وتكمن الفكرة الأساسية في أنه إذا لم يتم احتواء وحل سريع لنقاط النزاع فإن الأمر سوف يتطور إلى صراع. لكن نادرا يتراجع الصراع إلى نزاع بدون تدخل. ويشبّه البعض النزاع بالمساومة بين البائعين والمشترين حول سلعة ما وفي نهاية الأمر يصل الطرفان إلى تسوية ترضي الطرفين (compromise). لكن إذا كان هناك جدال ونزاعات مركَّبة وتركناها تتداعها لكي تصل لنتيجة، فإن النتيجة سوف تكون الصراع.

والصراع من المفاهيم التي خضعت لتنوع وتعدد. مثلاً يرى بعض الباحثين والعلماء أن مفهوم الصراع يشمل ما يلي:

1. وضع اجتماعي، يحاول فيه طرفان على الأقل، الحصول على مجموعة من نفس الموارد المادية أو المعنوية، وفي نفس اللحظة، أو تحقيق أهداف ومصالح متناقضة (incompatible goals) في لحظة واحدة. وتكون هذه الموارد أو الأهداف غير كافية إرضاع هذه الأطراف.[12]
2. يشير كوينسي رايت Quincy Wright أن الصراع "هو في بعض الأحيان يستخدم للإشارة إلى التضارب، أو التناقض في المبادئ أو المفاهيم أو العواطف أو الأهداف، أو المطالبة بالكيانات أو الهوين وأحياناً تُستخدم للإشارة إلى عملية تسوية هذه التناقضات. [13]

ثانياً: أسباب النزاع القبلي في السودان:

يمكن القول أن النزاع dispute – وما يتبعه من الصراع القبلي conflict – في السودان يرتبط ببنية الدولة ونظامها السياسي، كما يرتبط بالخطاب السياسي. كما أن الظروف الموضوعية هي التي تنقل النزاع الاجتماعي إلى صراع سياسي. فالنزاعات الاجتماعية موجودة في كل المجتمعات، وكذلك الصراعات القبلية خاصة في المجتمعات المتخلفة.

---

[12] Peter Wallensteen, “Understanding Conflict Resolution: a Framework”, in Wallensteen Peter (ed.): Peace Research: Achievements and Challenges, pp. 120 – 121

[13] سامي إبراهيم الخزندار، إدارة الصراعات وفض المنازعات: إطار نظري، مركز الجزيرة للدراسات، الدوحة؛ والدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 2014، ص 61.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية https://journal.ziu-university.net
30/08/2024
المجلد الأول
العدد الخامس والعشرون م.1 : ص.ص483 -529 ISSN: 2958-8537 Issue: N25
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

لكن تحولها إلى عنف وتصاعد حدة التوتر وزيادة الصراع خاصة المسلح يصبح ظاهرة ومعضلة تتجاوز طبيعة النزاع القبلي التقليدي. حيث أن المجتمعات التقليدية التي قوامها نظام قبلي تندلع فيها هذه النزاعات والصراعات من حين إلى آخر بسبب النزاع حول المرعى أو عمليات ثأر قبلي، ولكنها عادة تكون محدودة ويتم احتواؤها بالأعراف القبلية. أما زيادة المعدلات عبر فترة زمن قصيرة مع الاختلاف في التردد (تكرار عدد الحروب) وفي عدد الضحايا وفي حجم الضحايا فهذا يصبح ظاهرة تؤثر على التماسك الاجتماعي والاستقرار السياسي. وبمثلما هي تستحق الدراسة هي أيضاً تعكس فشل السياسات.

باستقراء الصراعات القبلية في السودان يتضح أنه ظهر بوصفه تنافس أو نزاع قبلي على الموارد الزراعية والحيوانية ومصادر المياه الشحيحة والكوارث الطبيعية (مثل الجفاف والتصحر)، ويتعقد بسبب التمسك بالمفهوم التقليدي لـ "الحاكورة"، إلا أنه ينطوي على اعتراض كثير من القبائل على شكل التنظيم الحديث وآليات الدولة الحديثة التي بدأت تؤثر على آلية البنية التقليدية للمجتمع القبلي وهي "الإدارة الأهلية". كما أن غيات "الدولة المحايدة" في التعامل مع القبائل والتعاطي مع النزاعات الإثنية، وعسكرة القبائل، وظهور "المحاصصة السياسية" بدلاً عن الحزبية في العملية السياسية، أدى كل ذلك إلى تصاعد الصراعات القبلية وتسييسها وتعقيد أزمة الدولة في السودان. وقد تجلى ذلك في أزمة دارفور. لذلك تستند هذه الورقة إلى دارفور كحالة دراسة لهذا الموضوع.

ترتبط النزاعات القبلية في السودان بأسباب وعوامل متعددة. ويمكن الإشارة إلى بعضها في ما يلي:

بعض أسباب النزاعات القبلية في السودان (خاصة دارفور):

1. النزاع حول الأرض.
2. المسارات (طرق الرعي بين الأراضي المزروعة).
3. مصادر المياه.
4. تعدي الحيوانات على المزارع.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية https://journal.ziu-university.net
30/08/2024
المجلد الأول
العدد الخامس والعشرون م.1 : ص.ص483 -529 ISSN: 2958-8537 Issue: N25
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

5. التدهور البيئي، والجفاف والتصحر.
6. إثارة النعرات القبلية والعصبية الإثنية (عرب مقابل غير عرب/أفارقة).
7. السرقة و"التارات" (الثأر).
8. النهب المسلح.
9. تدفق السلاح من دول الجوار (العلاقات مع ليبيا والتداخل القبلي مع تشاد).
10. توافر أسلحة حديثة وانتشار ثقافة العنف.

من أكبر أسباب زيادة النزاعات القبلية في اتجاه معاكس لسير الحداثة والعولمة في السودان هو غياب التعليم والوعي من ناحية، ثم الحضور الضعيف للسلطة الرسمية في الريف بعد حل الإدارة الأهلية مما أدى إلى إزكاء روح العصبية القبلية. ثم إعادة الإدارة الأهلية بصورة مسيسة وليست كنظام اجتماعي تنتجه ميكانيزمات المجتمع التقليدي في تطوره الطبيعي. حيث أدى التدخل السياسي إلى إضعاف لميكانيزمات المجتمع مما أدى إلى إنهيار عناصر الضبط الاجتماعي. فكانت النتيجة فراغ إداري وأمني أدى إلى حدوث التوتر والنزاعات بين القبائل. ومع المناخ السياسي المضطرب وانتشار السلاح أدى ذلك إلى إنتقال الصراع القبلي إلى صراع مسلح. وزادت كثافته وتضاعف عدد الضحايا وزادت وتيرته ومعدلاته (الجدول رقم 3).

كذلك من أسباب تفاقم هذا الصراع أن الحكومة السودانية تدخلت بصورة اعتبرتها بعض الإثنيات أنها غير محايدة من ناحية، كما أن غياب الإدارة الأهلية في صورتها القديمة من حيث المشروعية والقبول والكفاءة في هذا المناخ مع تدهور الأوضاع الاقتصادية أدى إلى ظهور مجموعات أصبحت تستثمر في النزاعات إما لكسب سياسي حزبي أو انتخابي أو من خلال بيع السلاح. وبالتالي فهي تسعى بالفتنة بين القبائل لاستمرار الصراع لتستمر مصالحها.

نتج عن هذا التدخل السياسي الخاطئ أن حدث تسييس للقبيلة في المناطق الريفية، كما أن تصاعد الصراع القبلي المسلح وتقاطعه مع الحرب بين الحركات المسلحة والحكومة السودانية في دارفور – منذ 2003 – زاد من تعقيد الأزمة. حيث حدث استقطاب سياسي وتوظيف لهذا الصراع القبلي في مختلف الاتجاهات.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية https://journal.ziu-university.net
30/08/2024
المجلد الأول
العدد الخامس والعشرون م.1 : ص.ص483 -529 ISSN: 2958-8537 Issue: N25
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

هناك مَن يرى أن غياب الديمقراطية هو أحد أسباب تصاعد القبلية والصراع القبلي. فانقلاب الجبهة الإسلامية القومية في يونيو 1989م "غيَّب الديمقراطية في السودان ومن ضمنها دارفور والتي كانت تمارس الديمقراطية عبر الأحزاب وهي مؤسسات حديثة لا يشترط للدخول إليها القبيلة بل البرنامج. هذا لا ينفي أن الأحزاب الموجودة في دارفور كان يغلب عليها الطابع القبلي، ولكن كانت الممارسة كفيلة بترجيح كفة البرنامج على القبيلة. وكانت القبلية متجذِّرة في الريف أكثر من المدينة.[14] وعند انتقال المواطن القروي إلى المدينة كانت المدينة قادرة بعلاقاتها الاجتماعية والسياسية والنقابية والثقافية أن تجعل له أكثر من انتماء حيث تتم عملية استيعابه في منظمات المجتمع المدني المختلفة (أحزاب، اتحادات، روابط، جمعيات، أندية وما شابه ذلك)، وبالتالي يضعف ولائه القبلي.

أما في عهد حكومة الإنقاذ الوطني "فقد أصبحت للقبائل أحياء خاصة بها في المدينة، وبالتالي فبدلاً من تحضير أو تمدين القروي تريَّفت المدينة. بغياب الديمقراطية في دارفور تحول الصراع إلى صراع قبلي بحت؛ فأصبحت انتخابات المحليات وأي انتخابات أخرى تتم على أساس قبلي. وأصبح محرماً على أفراد القبائل الأخرى الفوز في (حاكورة)[15] القبيلة صاحبة الأرض. بل وصل الاستقطاب القبلي لتقسيم حتى وظائف الحكومة المحلية من مدراء للمؤسسات والشركات الحكومية، وصولاً لتوزيع (كوتات) السكر على التجار تراع فيه القبلية."[16] وسارت الجبهة الإسلامية القومية في نهج استقطاب بعض القبائل ودعمها بالسلاح والعتاد في مقابل الأخرى. واستخدمت الإدارة الأهلية كوظائف حكومية تعطي للقبائل الموالية للنظام، وتحجب عن الأخرى التي ترفض الإذعان. واستحدثت الحكومة نُظَارات في حاكورة بعض

[14] صحيفة الميدان، (لسان حال الحزب الشيوعي السوداني)،الخرطوم، 2013/8/7.

[15] الحاكورة: في اللغة هي "الحكر" واصطلاحاً هي الأرض (الزراعية، الرعوية، السكنية...ألخ) التي يهبها سلطان من سلاطين الفور لشخص أو جماعة أ, قبيلة أو عشيرة بمرسوم سلطاني يحدد حدودها علىالطبيعة مِلكاً لها يتوارثها من بعده ورثته. للمزيد أنظر: علي أحمد حقار، البعد السياسي للصراع القبلي في دارفور (الخرطوم: مطابع السودان للعملة، 2003) ص ص 163- 168.

[16] المرجع نفسه.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية https://journal.ziu-university.net
30/08/2024
المجلد الأول
العدد الخامس والعشرون م.1 : ص.ص483 -529 ISSN: 2958-8537 Issue: N25
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

القبائل التي رفضت الإذعان لأخرى رضيت أن تكون واجهة سياسية عبر قيادتها الأهلية. وبالتالي عندما غيبت الديمقراطية وأصبحت القبلية اللاعب الأوحد في الساحة.[17]

ثالثاً: النزاع القبلي في دارفور:

من الحقائق التاريخية أن إقليم دارفور ظل طوال الفترة 1916 – 1956م جزءً لا يتجزأ من السودان الحديث كمنطقة متخلفة يحكمها موظفون بريطانيون باعتماد كبير على نظام الإدارة الأهلية. وعندما استقل السودان تحولت السلطة السياسية والاقتصادية إلى أيدي الشماليين العرب، المسلمين في غالبهم، أو ما يُسمى بالمجموعة النيلية العربية المسلمة المسيطرة.[18] كانت هناك نزاعات في الإقليم في الفترة 1956 – 1980م – أي منذ الاستقلال وحتى إدخال نظام الحكم الإقليمي كانت هناك نزاعات بين مجموعات قبلية محلية واستخدمت فيها أسلحة تقليدية. وفي الفترة من 1983 – 1993م تحولت طبيعة النزاعات إلى حرب بين تجمعات إثنية قبلية ومجموعات شادية، والحكومة المركزية مع استخدام الأسلحة الحديثة. وفي الفترة من 92 – 2002م كان هناك استقطاب إثني: عرب ضد غير العرب ومع تدخل الحكومة أصبح مستوى الصراع قومي.

يتفق الباحثون على تعدد مصادر وعوامل النزاع القبلي في السودان، وهي عوامل تتداخل وتتكامل في تأثير واعتماد متبادل interrelated وتؤدي إلى تعقيد النزاع الناتج عنها. وقد قسَّم أحد الباحثين النزاعات إلى مجموعات بما يساعد في فهم ديناميات النزاع (في دارفور مثلاً). ويمكن التمييز بين أربعة أنواع من النزاعات كما هو في الجدول رقم (1) أدناه:[19]

قضايا/أسباب النزاع	الفاعلون في النزاع	مستوى النزاع

[17] المصدر نفسه. أنظر كذلك موقع صحية الراكوبة، الالكترونية، 2015/8/7

[18] عطا البطحاني، نحو مخطط لتحديد أنواع ومراحل النزاع في دارفور، في: عبد الغفار محمد أحمد و لايف مانقار(تحرير)، دارفور إقليم العذاب: إشكالية ا لموقع وصراع الهويات، ترجمة محمد علي جادين (هولندا: جامعة بيرجن، منشورات رواق، 2006)، 84.

[19] عطا البطحاني، المصدر السابق، ص 164.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية https://journal.ziu-university.net
30/08/2024
المجلد الأول
ISSN: 2958-8537 Issue: N25 العدد الخامس والعشرون م.1 : ص.ص483 -529
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

ملكية الأرض، مراكز المياه، المراعي	عشائر ومجموعات داخل وبين القبائلintra- and inter-tribal	محلي
المجلس المحلي، المحافظة	العرب ضد غير العرب	إقليمي
تقسيم السلطة والثروة مع الأقاليم الأخرى	كل إقليم دارفور ضد الحكومة المركزيـة	قـومي
نزاع إسلامي/دولي	الحكومة والمجتمع الدولي	دولي

المصدر: عبد الغفار محمد أحمد و لايف مانقار، المصدر السابق، 164.

لكن يرى العديد من أبناء دارفور أن الشرارة لهذا الصراع الذي اندلع في (2003) تعود جذورها إلى العام 1982. ثم أخذت بعداً جديداً في عام 1986 في عهد حكومة رئيس الوزراء السابق الصادق المهدي حينما تجمعت بعض القبائل العربية تحت مسمى "التجمع العربي" بدعم حزب الأمة في مواجهة قبيلة الفور التي يدعمها الحزب الاتحادي الديمقراطي الشريك في الائتلاف الحكومي آنذاك. بينما يرى آخرون أن هذه المرحلة الأخيرة (حكومة الإنقاذ الوطني) شهدت تفاعل الإسلام السياسي مع الاستقطاب الإثني. فعندما جاءت حكومة الإنقاذ الإسلامية إلى الحكم في 30 يونيو/حزيران 1989م تصاعدت عملية أثنة (Ethnicization) النزاعات بسرعة متزايدة، حيث كان للحكومة الإنقاذية الإسلامية الجديدة "تأثير مباشر وقوي في تغذية النزاع بأبعاد آيديولوجية وعرقية وسط الأطراف التي تسمى عرب وزرقة."[20] وعندما شعر الفور بأن ما يجري قد تجاوز الحدود قاموا في بداية 2003 بتكوين جيش تحرير دارفور. وفي وقت قصير انضم إليهم الزغاوة. وتحول اسم الحركة إلى حركة/جيش تحرير السودان. ثم برزت لاحقاً حركة أخرى تسمى العدل والمساواة.

[20] المصدر نفسه، ص 89.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية https://journal.ziu-university.net

30/08/2024
المجلد الأول

العدد الخامس والعشرون م.1 : ص.ص483 -529 ISSN: 2958-8537 Issue: N25

Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية https://journal.ziu-university.net
30/08/2024
المجلد الأول
العدد الخامس والعشرون م.1 : ص.ص483 -529 ISSN: 2958-8537 Issue: N25
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

ترى بعض النخب الدارفورية أنه بعد إدخال نظام الحكم الإقليمي في البلاد (في الثمانينات) وتنصيب الدارفوريين في مناصب حاكم الإقليم والوزراء والمحافظين، تغيرت حالة النزاع في الإقليم بشكل درامي. فالذين تربطهم علاقات قبلية وإثنية مع أطراف النزاعات أصبحوا في السلطة.[21] ومع أن الانحياز لا ينبع بالضرورة من هذه الحقيقة، فقد بدأت – مع مرور الوقت، لسوء الحظ – أعداد كبيرة من موظفي الدولة في الإنحياز لأحد أطراف النزاعات الإثنية. فمنذ عام 1981 تقريباً، بدأ الموظفون الحكوميون في الإقليم في تحديد خصومهم بمثل هذه التصنيفات. وفي هذه الفترة بالتحديد بدأت تتبلور التحالفات السياسية المتعارضة: الزغاوة ومجموعات العرب الرعاة والأخوان المسلمون في جانب، والفور والتنجور والصفوة المدينية في دارفور في الجانب الآخر. ومع تصاعد التوترات والنزاعات حول الموارد قامت المجموعات الإثنية الأساسية بتنظيم نفسها في تكتلات منفصلة. وهنا أعلن التجمع العربي عن نفسه في مذكرة لرئيس الوزراء الصادق المهدي الذي يتركز نفوذه السياسي في دارفور وسط القبائل العربية.[22]

فقد أشار أكثر من (23) زعيماً وقياديا من المجموعات العربية، يمثلون خليطاً من المثقفين والقيادات القبلية وكبار الموظفين، أشار هؤلاء في مذكرتهم رئيس الوزراء إلى أن "الجنس العربي" هو الذي "نشر الحضارة في هذا الإقليم... وذلك في مجالات الحكم والدين واللغة". وقد أشار التجمع العربي في مذكرته إلى أن العرب يشكلون حوالي (70%) من سكان دارفور، ويعيشون في حوالي 55% من إجمالي مساحتها ويساهمون بحوالي 15% من إجمالي الدخل القومي للسودان ككل. وأن المتعلمين من أبنائهم يشكلون حوالي 40% من الصفوة المتعلمة في الإقليم. ومع كل ذلك يُمَثَّلون بـ (14%) عضواً فقط في البرلمان القومي.[23]

لكن هناك تقديرات مختلفة أخرى يوضحها هذا الجدول (رقم 2) أدناه:

[21] عطا البطحاني، المصدر السابق ،ص 85

[22] عطا البطحاني، المصدر السابق ، ص 85.

[23] المرجع نفسه، ص 86.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية https://journal.ziu-university.net
30/08/2024
المجلد الأول
العدد الخامس والعشرون م.1 : ص.ص483 -529 ISSN: 2958-8537 Issue: N25
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

القبيـــلة	السكان	التعليم	الموارد الاقتصادية	الثروة الحيوانيـة	الأسلحة
الزغـاوة	%10	%50	%60	%10	%10
القبائل العربية	%25	%10	%27	%70	%68
الفـور	%40	%25	%23	%18	%14
المساليت والقبائل الأخرى	%20	%15	%10	%02	%03

المصدر: نازك، رباح، 1998. في: عبد الغفار محمد ولايف مانقار، مصدر سابق، ص 86.

بغض النظر عن حقيقة هذه الأرقام ، فإن العرب يشكون من ضعف تمثيلهم في المؤسسات المحلية والإقليمية وفي الحكومة القومية، ويطالبون برفع تمثيلهم إلى 50% في المستويات الثلاثة حسب وزنهم السكاني ومساهمتهم في الثروة والمعرفة الإقليمية ودورهم التاريخي كحملة حضارة. ويلخصون مطالبهم هذه بتهديد مضمر، حيث تقول مذكرتهم:

"إننا نخاف إذا ما استمر تجاهل تمثيل الجنس العربي، أن تفلت الأمور من أيدي الحكماء إلى أيدي الجهلاء، وبالتالي دفع الأوضاع إلى نتائج خطيرة."

غير أن الحكومة لم تتدخل في الوقت المناسب، كما أنها لم تتدخل بحياد، وعملت على استقطاب بعض النخب إلى جانبها. هذا الاستقطاب السياسي الحاد تلازم مع استقطاب إثني وتمايزت الهويات العربية مقابل الأفريقية (عرب مقابل زرقة). ومع ظهور الحركات المسلحة حدثت تقاطعات بين ما هو سياسي وما هو قبلي فكانت النتيجة تصاعد أزمة دارفور وتعقيدها وتدويلها.

بيد أن الملاحظة المهمة في النزاعات في دارفور وعلى مدى عشرات السنين لم تكن دائماً إثنية أو مسيّسة. حيث كانت هناك نزاعات داخل المجموعات العربية نفسها وداخل الزنجية فيما بينها أيضاً. ويُعد الصراع بين المزارعين والرعاة والتنافس حول موارد المياة الشحيحة والأرض الصالحة للزارعة، إحدى الصراعات التقليدية على وجه العموم في القارة

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية https://journal.ziu-university.net
30/08/2024
المجلد الأول
العدد الخامس والعشرون م.1 : ص.ص483 -529 ISSN: 2958-8537 Issue: N25
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

الأفريقية. وقد أكتسب صفة خاصة فى السودان وعلى الخصوص في دارفور، بعد التغيرات المناخية والتحولات البيئية المطرية خلال العقدين الماضيين.[24] الذى حدث فيه انحسار نطاق المراعى والموارد المائية اضافة إلى قلة الرقعة الزراعية نتجية لانجراف التربة الخصبة بواسطة عوامل التعرية ومن ثم الضغط علي الموارد القليلة والشحيحة، وتنافس الحاد بين المزارعين والرعاة. بدأ يتفجر النزاع عندما تلتقى قبيلتان أو أكثر تنتهيان إلى أصول عرقيه مختلفة تتضارب مصالحهما حول موارد المياه والرعى ، ويحدث احتكاك بسيط بسبب إتلاف قبيلة معينة لمزرعة مزارع من قبيلة أخرى تحدث مناوشات بين القبيلتين والتى غالباً ما تبدأ صغيرة ثم تزاد بسرعة مذهلة لتتطور إلى صدام مسلح وصراع قبلي حاد تكون نتجيته العدد كبير من الضحايا.[25]

ومن الأمثلة نزاع التعايشة والقمر والفلاتة بريفي رهيد البردي وريفي تلس، وقد تم الصلح بين قبيلتي التعايشة والقمر باتفاقية سرير بتاريخ 1984/11/20؛ وكان تزاحم السكان على موارد المياه الشحيحة هو أقوى الأسباب للصراع.[26]

كان التعايش السلمي بين قبائل دارفور يسود المنطقة وكانت العلاقات تحكمها الأعراف والعادات والتقاليد، بجانب تعاليم الإسلام السمحة. وكانت دارفور ترتبط ارتباطا وثيقا من الناحية الاجتماعية والاقتصادية والتنموية بمجتمع السودان الكبير. كل ذلك ساهم فى ترابط وتماسك النسيج الاجتماعى بدارفور. إلا أن الوضع الآن اختلف كثير عما كان عليه فى السابق، حيث أصبحت ملكية الأرض والحواكير وديار القبائل اليوم من أهم أسباب الصراع القبلي فى السودان ولا سيما دارفور إذا أخذنا فى الاعتبار أن هذه الحواكير وديار القبائل أصبحت جزءً أصيلاً من الموروثات والتركيبة

[24] الرشيد رمضان، رسالة ماجستير، المصدر السابق، ص 52.

[25] المصدر نفسه، ص 52

[26] الرشيد رمضان، المرجع السابق، ص 53.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية https://journal.ziu-university.net
30/08/2024
المجلد الأول
العدد الخامس والعشرون م.1 : ص.ص483 -529 ISSN: 2958-8537 Issue: N25
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

الاجتماعية والثقافية لأهل دارفور؛ وصارت حقوقا مكتسبة منذ القدم وأصبحت ذات أبعاد سياسية خطيرة فلا يمكن تجاوزها أو حلها بسهولة.[27]

هنالك عدة أسباب تداخلت وأثرت سلبا فى خلخلة البنية الاجتماعية والقبلية فما يتعلق بحواكير وديار القبائل بدارفور، وتطورت هذه المشاكل لتصبح أساسية فى أزمة دارفور الحالية ومنها: نزوح بعض القبائل من الدول المجاورة بسبب الحرب والمجاعة وعدم الاستقرار السياسي والاجتماعي فى تلك الدول الأمر الذي انعكس سلباً على الوضع الأمني في دارفور. فبدخول هؤلاء إلى حواكير القبائل الحدودية والاستقرار بها بدأ التنافر والصراع فضلا عن هذا كان هنالك أثر للتدخل القبلي فى المناطق الحدودية. ومع عدم وجود موانع طبيعية بين بطون القبائل السودانية شجّع العديد من القبائل الحدودية المشتركة للعبور إلى داخل الأراضي السودانية لنصرة فروع القبيلة والوقوف معها فى صراعتها ضد القبائل الأخرى.[28]

هنالك أيضاً نماذج أخرى للنزاعات بسبب الحواكير، مثل جماعات قبائل العرب الرحل فى كل من شمال وغرب دارفور مثل الرزيقات الشمالية والمحاميد والماهرية تشعر بالغبن لاعتقادها بأن التقسيم السابق للديار والحواكير لم يشملها فى حين أن لكل القبائل الأخرى ديارا وحواكير معروفة الحدود، والسبب فى ذلك هم أنفسهم حيث أنهم لا يؤمنون بفكرة الاستقرار فى رقعة أرض محددة، بل آثروا حياة الترحال بحثا عن الماء والكلأ وضمان حق المرور فى كل الديار من الجنوب وشمال. عندما شرع المتعلمون من أبناء هذه القبائل فى تنفيذ برنامج استقرار الرحل لتقديم خدمات صحية وتعيلمية أفضل لذويهم بدلا من حياة البداوة والترحال فوجئوا باستحالة الأمر لأن كل شبر من الأرض مملوك لقبيلة بعينها ويحرم عليهم الاستقرار الدائم فيها. وهذا ما دعاهم للمطالبة بضرورة العمل على تغيير الوضع والمفاهيم لمواكبة

[27] المرجع نفسه، ص 53.

[28] المرجع نفسه، ص 53.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية https://journal.ziu-university.net
30/08/2024
المجلد الأول
العدد الخامس والعشرون م.1 : ص.ص483 -529 ISSN: 2958-8537 Issue: N25
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

العصر، والعمل بالمفاهيم الجديدة وتأكيد حرية الانتقال والاستقرار والمساواة بين المواطنين على أساس المواطنة بدلا من التمسك بالمورث الذى يزعمون أنه انتهى عهده وفقد معقوليته.[29]

دخلت هذه القبائل الآنفة الذكر فى نزاعات مع معظم قبائل وأصبحت تدعي أن هناك مناطق ديار لهم كما فعل الماهرية بمنطقة (الجنيك) فى دارسوني ومناطق أخرى فى دار زغاوة الشيء الذى استفز الزغاوة وأثارحفيظتهم وتنادوا للدفاع عن أرضهم؛ ودخلوا فى حرب مع بعض القبائل العربية فى المنطقة مثل المحاميد والعريقات والعطيفات التى جاءت مؤازرة للماهرية فى حربها ضد سكان دار سوني فى 1994. هذابالاضافة إلى تأكيد مليكتهم لحواكير أخرى فى منطقة دار مساليت مثل حاكورة قبيلة الماهرية والحوطية وتدعم حججها فى هذا الشأن ببعض الخرائط والمستندات التى اعتبرها الآخرون دليلا ماثلا على احتلال أرض الغير واسيتطان فيها بالقوة عن طريق:-

1/ ممارسة العنف المباشر واستفزاز المواطنين وترويعهم لمغادرتها.

2/ استمالة بطونهم فى دول الجوار للقدوم إلى المنطقة لاحتلالها اخلائها من السكان الأصليين بحرق القرى والتنكيل بالمواطنين المحليين واجبارهم على مغادرتها حفاظاً على أرواحهم وممتلكاتهم.[30]

إن المشكلة الحقيقية فما يتعلق بنظام الحواكير بمفهومه السائد فى دارفور قد افقد الحكومة (المركزية والولائية) هيبة الدولة وسلطانها على بسط نفوذها باقرار الأمن والطمأنينة بالنسبة للمواطن. وخير مثال على ذلك نزاع الرزيقات والزغاوة بمحافظة الضعين عام 1996 حيث غيرت الرزيقات لافتة (مجلس منطقة الضعين) بلافتة (مجلس منطقة دار رزيقات). كما أصدرت قبيلة الرزيقات قرارا مكتوبا لحكومة المحافظة بأجهزتها الأمنية والقضائية والتنفيذية يقضي بطرد

[29] التجاني مصطفى، رؤى حول النزاعات القبلية فى السودان، (الخرطوم: معهد الدراسات الافريقة والآسوية، جامعة الخرطوم، 1998)، ص99.

[30] / المصدر نفسه، ص 115.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية https://journal.ziu-university.net
30/08/2024
المجلد الأول
العدد الخامس والعشرون م.1 : ص.ص483 -529 ISSN: 2958-8537 Issue: N25
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

خمسة من المواطنين الزغاوة من محافظة الضعين، وذلك بحجة أنهم غير مرغوب فيهم لاعتبارهم قادة يؤثرون على أفراد قبيلتهم ويحرضونهم على القتال ضد قبيلة الرزيقات.[31]

إذن لابد **من معالجة ملكية الأرض بالتراضي الاجتماعي والأعراف**، فى الوقت الراهن كتمهيد لتطايرها قانونيا ودستوريا، لانها سوف تظل سببا قائما لتجديد الاقتتال والنزاع كما سنحت الفرصة لذلك ، فى ظل وجود تقاطع مصالح وأهداف داخل المجتمع، علاوة على التدخل الأجنبي الذى لا يدخر وسعا فى الاستفادة من كل الفرص التى تساعده فى تحقيق أهدافه حتى لوكانت تزكية الحرب القبلية.

رابعاً: التعصب القبلى (نماذج من العنف الدموي):-

ظاهرة الصراع القبلي فى دارفور ظاهرة قديمة منذ قيام السلطنات ومرورا بكل الحقب التاريخية كان النزاع القبلي مستمر تؤثر فيه عوامل تزيد من حدته فى كل عهود الحكومات الوطنية، ومايشهده الإقليم اليوم من نزاعات قبلية قد أخذ منحىً وأبعاداً أخرى لم تكن موجودة فى السابق. وقد استجدت فيها أمور كثيرة، وتداخلت فيها مصالح وأهداف محلية واقليمية مما أجج الصراع وجعله يستمر بصورة مخيفة تدعو إلى القلق.

أصبح النزاع القبلي المسلح يتفجر بدارفور فى دورات متلاحقة وعنيفة حتى أضحى خلو مجتمع دارفور من التناحر القبلي هو الاستثناء وليس القاعدة. فى العقود الثلاثه الماضية شمل هذا النزاع كل القبائل دارفور ولاعطاء صورة عن هذا الأمر هنا أمثلة لبعض **النزاعات القبلية** في دارفور:

جدول رقم (3) يوضِّح النزاعات القبلية في دارفور من ثلاثينات القرن العشرين إلى مايو 2015:

الرقم	القبائل المتنازعـة	التاريـخ	الولايـة
1	الكبابيش – الكواهلة- البرتي الزيادية- الميدوب	1932	شمال دارفور

[31] / على احمد حقار، البعد السياسي للصراع القبلى فى دارفور ،(الخرطوم: شركة مطابع العملة السودانية، 2004)، ص 166.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية https://journal.ziu-university.net

30/08/2024
المجلد الأول

العدد الخامس والعشرون م.1 : ص.ص483 -529 ISSN: 2958-8537 Issue: N25

Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

2	البرتي - الزيادية	1956	شمال دارفور
3	الميدوب – الزيادية- الكبابيش	1957	شمال دارفور
4	المعاليا – الرزيقـــات	1964	جنوب دارفور
5	الزيادية - البرتي	1965	شمال دارفور
6	ميدوب - كبابيش	1965	شمال دارفور
7	المعاليا – الرزيقات (قرية أبوكارنكا)	1966	شرق دارفور
8	الرزيقات – المعاليا	1968	جنوب دارفور
9	الرزيقات – الزغاوة	1968	شمال دارفور
10	الزغاوة – الماهريـــة	1968	شمال دارفور
11	الزغاوة – البرقـو	1974	شمال دارفور
12	البني هلبة – الرزيقات	1975	جنوب دارفور
13	زغـاوة – زغـاوة	1976	شمال دارفور
14	البني هلبة – الماهريـة	1976	جنوب دارفور
15	البني هلبة - الرزيقات الشمالية	1976	جنوب دارفور
16	الرزيقات – الداجـــو	1976	جنوب دارفور
17	الرزيقات - البرقـــو	1977	غرب دارفور
18	التعايشة – السلامات	1980	جنوب دارفور
19	الرزيقات – البني هلبة	1982	جنوب دارفور
20	الفلاتـة – القِمِر	1983	جنوب دارفور
21	الرزيقات – المسيـرية	1983	جنوب دارفور
22	الكبابيش – البرتي – الزيادية	1984	شمال دارفور
23	القمر – الفلاتـــة	1987	شمال دارفور
24	الفور – البديات	1989	شمال دارفور

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية https://journal.ziu-university.net

30/08/2024
المجلد الأول

العدد الخامس والعشرون م.1 : ص.ص483 -529 ISSN: 2958-8537 Issue: N25

Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

25	العرب – الفور	1989	شمال دارفور
26	فور ضد (27) قبيلة عربيـــة	1989	ش د (تحامل عنصري)
27	الزغاوة – القمر	1989	شمال دارفور
29	فور (كبكابية) ضد الزغاوة	1990	شمال دارفور
30	التعايشة – القمـــر	1990	جنوب دارفور
31	الزغاوة – المراريت	1991	شمال دارفور
32	الزغاوة – بني حسين	1991	شمال دارفور
30	الزغاوة – الميما	1991	شمال دارفور
33	الزغاوة - البرقـــد	1991	شمال دارفور
34	الزغاوة والبرقد (للمرة الثانية)	1991	شمال دارفور
35	الفور – الترجـــم	1991	شمال دارفور
36	الزغاوة – العـرب الـرُحّـل	1994	شمال دارفور (كُتُم)
37	الزغاوة السودانيين – الزغاوة الشاديين	1996	شمال دارفور
38	المساليت – ضد بعض القبائل العربية	1996	غرب دارفور
39	الزغاوة – الرزيقات	1996 - 1997	جنوب دارفور (حاليا شرق دارفور)
40	العـرب – المساليت	1997	غرب دارفور (الجنينة)
41	الداجـو – الرزيقات	1998	جنوب دارفور
42	العرب – المساليت (للمرة الثانية)	1998	غرب دارفور
43	الفور – الرزيقات	1999	جنوب دارفور
44	الميدوب – البرتي	1999	شمال دارفور
45	الهبانية – أبودرق	2000	جنوب دارفـور
46	الزغاوة – القمـر	2000	شمال دارفور
47	المعاليا – الرزيقات	2000	جنوب دارفور

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية https://journal.ziu-university.net

30/08/2024
المجلد الأول

العدد الخامس والعشرون م.1 : ص.ص483 -529 ISSN: 2958-8537 Issue: N25

Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

48	الرزيقات – التنجر	2000	جنوب دارفور
49	الرزيقات – المسيرية (كردفان)	2000	جنوب دارفور/غرب كردفان
50	الهبانية – السلامات	2000	جنوب دارفور
51	الزيادية – البرتي	2000	شمال دارفور
52	الرزيقات – المساليت	2000	غرب دارفور
53	الرزيقات – أولاد منصور (عرب)	2001	جنوب دارفور
54	القمر – الزغاوة	2001	غرب دارفور
55	الداجو – المسيرية	فبراير 2005	جنوب دارفور
56	الفلاتة – المساليت	2005	جنوب دارفور(سعدون)
57	الهبانية – المساليت	2005	جنوب دارفور
58	برقد–مسيرية–مسبعات– داجو	ديسمبر 2005	جنوب دارفور
59	برقد– رزيقات – تُرجم	يناير 2006	
60	الهبانية – الرزيقات	2006	جنوب دارفور
61	الهبانية – السلامات	2006	جنوب دارفور (سرقلية)
62	الهبانية – الفلاتة	2006	جنوب دارفور
63	القمر – الفلاتة	2006	جنوب دارفور
64	الترجم – الرزيقات	2007	جنوب دارفور
65	الفلاتة – الهبانية	2007	جنوب دارفور
66	القِمِر – الفلاتة	2007	جنوب دارفور
67	الفلاتة – الهبانية	2008	جنوب دارفور (عفونة)
68	الرزيقات – الهبانية	2008	جنوب دارفور (قريضة)
69	القمر – الفلاتة	2008	جنوب دارفور(سانبوا)
70	البني هلبة – الترجم	2008	جنوب دارفور

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية https://journal.ziu-university.net

30/08/2024
المجلد الأول

العدد الخامس والعشرون م.1 : ص.ص483 -529 ISSN: 2958-8537 Issue: N25

Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

71	الرزيقات – الهبانية	2009	جنوب دارفور
72	البرتي – الزيادية (مليط)	2011	شمال دارفور
73	السلامات – التعايشة (محلية رهيد البردي)	2011	جنوب دارفور
74	السلامات– المسيرية (أم دخن)	2012	وسط دارفور
75	القِمر – البني هلبة (كتيلا: محلية عد الفرسان)	2012	جنوب دارفور
76	المساليت – الفلاتا (قريضة)	2012	جنوب دارفور
77	البني هلبة – القِمر	يناير 2013 – مايو 2013 (15 هجوم من البني هلبة على القمر بسبب ملكية الأرض)	جنوب دارفور (بلغ جملة القتلى في هذه الهجمات 190 قتيلاً ومئات الجرحى؛ إحراق 14 قرية؛ 1200 منزل؛ تدمير 5 محطات مياه؛ نهب ممتلكات مواطنين تُقدر قيمتها بـ 15 مليار جنيه سوداني).
78	الفلاتة – المساليت	2013	جنوب دارفور (قريضة/ أم سعدون: 7 قتلى و 20 جرحى)
79	الرزيقات (الأبّالة) – بني حسين	يونيو 2013	شمال دارفور: جبل أبو عامر (التنافس حول آبار البترول: 17 قتلى، 20 جرحى).
80	الرزيقات – المعاليا	12 أغسطس 2013	شرق دارفور (110 قتلى، ومئات الجرحى).
81	الرزيقات – المعاليا	18سبتمبر 2013	شرق دارفور (37 قتلى، 47 جرحى).
82	المسيرية – السلامات	فبراير 2014	وسط دارفور (أم دخن): عشرات القتلى والجرحى، اضطر السلامات للفرار إلى تشاد
83	المعاليا – الرزيقات	سبتمبر 2014	ش دارفور: (500 بين قتيل وجريح)

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية https://journal.ziu-university.net
30/08/2024
المجلد الأول
ISSN: 2958-8537 Issue: N25 العدد الخامس والعشرون م.1 : ص.ص483 -529
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

84	المعاليا – الرزيقات	يناير 2015	شرق دارفور (10 قتلى وعشرات الجرحى).
85	الرزيقات – المسيرية	27 يناير 2015	شرق دارفور
86	الفلاتة – المساليت	فبراير 2015	غرب دارفور (7 قتلى، 20 جرحى).
87	الزيادية – البرتي	21 مارس2015	شمال دارفور (30 قتلى وعشرات الجرحى).
88	السلامات – المسيرية	22 مارس 2015	جنوب دارفور (21 قتيل، و 24 جريح وسرقة أبقار)
89	الرزيقات – الهبانية (محليتي السنطة والفردوس)	23 مارس2015	جنوب وشرق دارفور(مقتل 10 وجرح 10).
90	المعاليا – الرزيقات	10 مايو 2015	شرق دارفور (مئات القتلى والجرحى

المصدر: تجميع الباحث من عدة مصادر منها صحيفة سودان تريبون (2013/5/30، و 2013/8/7، و 2014/2/21) والمركز السوداني للخدمات الإعلامية (SMC)، ومركز دراسات السلام بجامعة نيالا (ولاية جنوب دارفور)؛ ومتابعة الكاتب للصحف اليومية الصادرة في الخرطوم.

من هذا الجدول (رقم 3) يمكن ملاحظة أن فترات الصراع القبلي في دارفور كانت متباعدة جداً في الماضي. فمثلاً من نزاع عام 1932 لم يحدث نزاع إلا في عام 1956 – أي 24 سنة. مع ملاحظة أن تلك كانت فترة الاستعمار البريطاني حيث تركت الإدارة البريطانية آليات المجتمع تعمل في حفظ الأمن وحل المشكلات دون التدخل المباشر منها. ثم حدث نزاع 1957 بين قبائل عربية (الميدوب، الزيادية، والكبابيش). ثم لم يحدث صراع إلى في عام 1964. ثم توالت النزاعات في النصف الثاني من الستينات لكن بمعدل نزاع واحد في العام الواحد في المتوسط (نزاع واحد في الأعوام 64، و66، ونزاعين في 65، ولا يوجد نزاع في عام 67 بينما وقعت ثلاثة أحداث قبلية في العام 1968). ثم لم تسجل الاحصائيات أي صراع قبلي في الأعوام 1969 و1970 و1971 و1972 و1973. ثم بدأت الصراعات تتوالى في السنوات التالية بعد إلغاء نظام مايو للإدارة الأهلية منذ العام 1971. فشهدت الأعوام 1974 و1975 نزاع واحد في كل عام بينما شهد العام 1976 أربعة صراعات قبلية.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية https://journal.ziu-university.net
30/08/2024
المجلد الأول
العدد الخامس والعشرون م.1 : ص.ص483 -529 ISSN: 2958-8537 Issue: N25
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

وعلى الرغم من زيادة الصراعات القبلية من منتصف السبعينات وحتى النص الثاني من الثمانينات من القرن العشرين إلا أن النقلة في المنحنى حدثت في العام 1989 الذي شهد أربعة نزاعات قبلية ثم توالت النزاعات في التسعينات من القرن العشرين بوتيرة أعلى مقارنة بالعقدين السابقين (ستة نزاعات في عام 1991مثلاً). فإذا أخذنا في الاعتبار عام الاستقلال (1965) هو عام الأساس يمكن ملاحظة أن المعدل بدأ يرتفع كل عقد من الزمان:

جدول رقم (4) يوضح عدد النزاعات في كل عقد (عشرية) منذ الاستقلال:

العقد (الفتـرة)	عدد النزاعات (الصراعات)
الستينات (من القرن العشرين)	6
السبعينات – – –	7
الثمانينات – – –	9
التسعينات – – –	17
العشرية الأولى من الألفية الثانية (2000 – 2009	25
النصف الأول من العشرية الثانية للألفية الثالثة	31
الجملـــة	**95**

الملاحظ أنه في العقد الأول (العشرية الأولى) لفترة حكم الإنقاذ (1989 – 1999) كان هناك (21) صراع قبلي (أنظر الجدول رقم 3). وهذا يعني أكثر من ضعف عقد الثمانينات (6 نزاعات/صراعات فقط).

كذلك الملاحظ أنه في عام 2000 مثلاً وقعت (8) حروب قبلية في دارفور؛ و(5) في 2006 و (4) في 2005، ومثلها في 2008. لكن الملاحظة الأهم هو وقوع حوالي (20) حالة صراع دموي في عام واحد هو عام 2013 – منها (15) بين يناير ومايو من العام ذاته عبارة عن هجمات متكررة من قبيلة البني هلبة على القِمر.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية https://journal.ziu-university.net
30/08/2024
المجلد الأول
العدد الخامس والعشرون م.1 : ص.ص483 -529 ISSN: 2958-8537 Issue: N25
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

فإذا كانت النزاعات القبلية قد زادت في فترة حكم نظام مايو (النميري) في السبعينات بسبب حل الإدارة الأهلية فقد تضاعف عدد الصراعات في عهد الإنقاذ بسبب تسييس الإدارة الأهلية – بعد إعادتها. فإذا أخذنا الستة عشر سنة – إجمالي حكم النميري (1969 – 1985) مقارنة مع ستة عشرة سنة من حكم الإنقاذ (1989 – 2005) نجد أن إجمالي الصراعات في فترة النميري كانت (12) بينما في ستة عشرة عاما للإنقاذ كانت (36) حالة/حادث صراع – أي ثلاثة أضعاف تقريباً. لكن المفارقة الأكبر هي أنه من جملة 85 عاماً – فترة رصد الصراعات القبلية في السودان (1930 – 2015) – نجد أن فترة حكومة الإنقاذ الـ (25 عاماً: 1989 – 2015) – تفوقت على جملة الحقب السابقة، حيث شهدت فترة الإنقاذ (75) صراعاً (عنفاً دموياً) قبلياً مقارنة بـ (23) خلال (60) عاماً – سابقة لحكومة الإنقاذ.

معظم هذه الصراعات هي من الحجم الكبير حيث يصل عدد الضحايا أحيانا إلى المئات من القتلى. بمعنى أنه هناك ربما يكون الكثير من الأحداث القبلية الصغيرة التي لم يتم رصدها أو تسجيلها. كما أن الباحث يجد صعوبة في الحصول على الأرقام الدقيقة أو الكاملة. فمثلا لم تتوافر للباحث أية إحصائيات للأعوام 2009 وحتى 2012 وتظل هذه مجرد أمثلة لكنها تكفي لمؤشرات تفيد التحليل للوصول إلى مدى تصاعدية النزاعات وزيادة تعقيداتها من عهد إلى آخر – خاصة فترة الإنقاذ.

هناك ملاحظة خاصة بالإدارة الأهلية وهي أنها كانت تتولى عملية فض النزاعات لوحدها منذ عهد الاستعمار وحتى حلها في مطلع السبعينات من القرن العشرين بواسطة حكومة نميري التي اعتبرتها من المؤسسات الرجعية أو المتخلفة دونما قراءة صحيحة لطبيعة المجتمع السوداني وآليات ضبطه الاجتماعي. فمن عام 1932 وحتى مطلع التسعينات كان هناك حوالي (36) نزاع كانت فيها آلية فض النزاع هي الإدارة الأهلية في (13) مرة وفيها (4) مرات جهد مشترك بين الحكومة والإدارة الأهلية من خلال مؤتمرات الصلح. مع ملاحظة أن الإدارة الأهلية تدخلت لوحدها لحل النزاعات الأهلية من عام 1932 وحتى العام 1975 بالكامل (8) مرات، ثم تدخلت الحكومة في عام 1976 و 1978. ثم زاد تدخل الحكومة بالاشتراك مع الإدارة الأهلية في الثمانينات من القرن العشرين. لكن زادت معدلات النزاع القبلي في الثمانينات، ثم زادت أكثر في التسعينات – كما سبقت الإشارة – وفي الألفية الثالثة حيث غابت الإدارة الأهلية أو

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية https://journal.ziu-university.net
30/08/2024
المجلد الأول
العدد الخامس والعشرون م.1 : ص.ص483 -529 ISSN: 2958-8537 Issue: N25
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

أصبح دورها ثانوي أو ضعيف. كانت هناك مؤتمرات الصلح التي ترعاها الحكومة بحضور زعامات الإدارة الأهلية الذين تعيّنهم الحكومة. إذن الآلية هي – في التحليل النهائي – حكومية فقط. وهنا نلاحظ زيادة تدخل وزيادة الصراع القبلي أيضاً. فبالإضافة لأسباب أخرى أصبحت الحكومة تتدخل لدفع الديات مما شجع الاقتتال القبلي والتارات، حيث يشعر أطراف الصراع بأنه يقتل (ليأخذ ثأره) وتتولى الحكومة الصلح والدفع..

من الجدول (رقم 3) يتضح بجلاء كيف تصاعد العنف القبيل في مجتمع دارفور، وقد أثّر ذلك على تماسك النسيج الاجتماعي وعلى السلام الاجتماعي وعلى التعايش السلمي والاستقرار بصورة عامة. وربما تستمر هذه الظاهرة لسنوات بل لعقود قادمة إذا لم تتبنى الدولة حلول جذرية لهذه المشكلة حيث ما زالت هناك مناطق توتر قابلة للانفجار فى أى وقت.

الملاحظ أن الصراع القبلي انفجر بدرجة أكبر فى العقد الأول ونصف العقد الثاني من الألفية الثالثة مقارنة بالعقود الماضية. وقد زاد من حدة الصراع القبلي ظهور الحركات المسلحة على مسرح الأحداث ونشاط مليشيات الجنجويد. وقد أصبحت تمثل هذه الحركات واجهات قبلية؛ وكذلك أصبحت تعبر ميلشيات الجنجويد عن قبائل معينة كل ذلك أشعل الحرب القبلية فى دارفور عامة بينما كانت في الماضي منحصره فى نطاق ضيق.

صراع بهذا الحجم ويضم جل قبائل دارفور يؤكد حقيقة واحدة بأن الصراع القبلي تجذر في دارفور، ويصعب حله وتداركه بسهولة ويسر كما كان فى السابق (بواسطة الحلول المحلية للمجتمع الأجاويد – أو الرواكيب– مؤتمرات الصلح) ويرجع ذلك إلى أن عوامل كثيرة استجدت زادت الأزمة تعقيداً.[32]

[32] الرشيد رمضان، المصدر السابق، ص

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية https://journal.ziu-university.net
30/08/2024
المجلد الأول
العدد الخامس والعشرون م.1 : ص.ص483 -529 ISSN: 2958-8537 Issue: N25
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

وعلى رأس هذه العوامل:

تسييس الصراعات: حيث تدخلت الحكومة المركزية – وخاصة في فترة الإنقاذ – بصورة غير محايدة مما دفع الطرف الآخر إلى الاحتماء بالأجنبي وبذلك حدث تصعيد وتدويل للأزمة فأصبحت دولية؛

إلغاء الإدارة الأهلية ثم إعادتها مع تسييسها مما أفقدها الاحترام والهيبة وأصبحت عاجزة عن حل المشكلات القبلية كما كان في السابق.

تدفق السلاح من دول الجوار (ليبيا وتشاد).

العوامل السياسية: يرى البعض أن الشرارة الأولى لهذا النزاع الأخير انطلقت عام 1986 في عهد حكومة رئيس الوزراء السابق السيد الصادق المهدي حينما تجمعت بعض القبائل العربية تحت مسمى التجمع العربي بدعم حزب الأمة في مواجهة قبيلة الفور التي يدعمها الحزب الاتحادي الديمقراطي الشريك في الائتلاف الحكومي آنذاك.[33] هذا يشير إلى أن هناك تكتُّل واضح للقبائل – على أساس عنصري – لممارسة ضغط سياسي.[34] فقد تبلور اصطفاف إثني غير عربي ضد العرب (كتلة الفور وكتلة الزغاوة، وقبائل أخرى غير عربية مقابل تكتل القبائل العربية) وهذا بلا شك يؤثر على السلم الاجتماعي والاستقرار السياسي ويعيق التنمية وبالتالي يؤدي إلى استدامة الجهل والتخلف.

كان نتاج كل ذلك في **تكتل القبائل على أسس عنصرية لتمارس دورها كجماعات ضغط سياسي** على حساب السلام الاجتماعي والتعايش السلمي. وعلى الرغم من أن هذا التكتل العربي ضد غير العربي يرجع إلى منتصف ثمانينات القرن العشرين لكن في فترة حكم الإنقاذ (الحركة الإسلامية) إزداد التصعيد العنصري على أساس إثني/سياسي حيث تم تصعيد النزاع بين العرب والمساليت (غير عرب) إلى صراع شامل بين العرب وغير العرب ابتداءً من مارس عام 1995

[33] شريف حرير وترجي تفيدت، السودان:الإنهيار أو النهضة، ترجمة مبارك ومجدي النعيم (القاهرة: مركز الدراسات السودانية،) 1997، ص 45.

[34] علي أحمد حقار، البعد السياسي للصراع القبلي في دارفور: مطابع السوان للعملة، 2003، ص 181؛ وأنظر كذلك: محمد سليمان محمد، السودان: حروب الموارد والهوية، الخرطوم: دار عزة للنشر، 2006، ص ص 356 – 359.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية https://journal.ziu-university.net
30/08/2024
المجلد الأول
العدد الخامس والعشرون م.1 : ص.ص483 -529 ISSN: 2958-8537 Issue: N25
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

(عند تقسيم الحكومة للإدارة الأهلية في دار مساليت إلى 13 "إمارة" تم منح غالبيتها للعرب)، وبرزت لأول مفردات جديدة مثل "العرب والزرقة" أو "الحُمرة والزرقة". كما أصبحت القبائل العربية تتحرك في حروباتها كجماعة ضغط سياسي"لوبي عربي".[35] ومن أمثلة ذلك حرب الفور ضد سبعة وعشرون قبيلة عربية عام 1987 – 1989، وحرب الزغاوة والعرب عام 1994، وحرب المساليت والعرب عام 1996. ومن أمثلة هذا التسييس للصراع القبلي – على أساس إثني/عنصري هو حدث في صراع بعض القبائل العربية والمساليت بغرب دارفور حيث حاولت الحكومة تطبيق قانون المواطنة الذي ينادي بتساوي المواطنين في الحقوق والواجبات لكن في الواقع فاق عددد الأمراء العرب وإماراتهم عدد أمراء المساليت وإماراتهم. وكان نتاج ذلك أن أصبحت القبائل غير العربية تتحدث صراحة "متهمة الحكومة بالانحياز للعنصر العربي سعياً في تطبيق استراتيجيات الحزم العربي مقابل الزحف الزنجي لغرب السودان."[36]

وفي ما يلي مزيداً من الأمثلة التي تؤكد ذلك:

جدول (5) يوضح أسباب النزاعات القبلية في دارفور1957-2004 م:

تاريخ مؤتمر الصلح	أطراف النزاع	الأسباب الأساسية للنزاع
1957	الميدوب ضد الكبابيش	سرقة الإبل
1968	الرزيقات ضد المعاليا	المراعي، سرقة الأبقار
1969	الزغاوة ضد الرزيقات	المرعى والماء، سرقة حيوانات
1974	الزغاوة ضد البرقد	المرعى والماء، سرقة حيوانات
1976	بني هلبة ضد رزيقات الشمال	المرعى والماء، سرقة حيوانات

[35] علي أحمد حقار، المرجع السابق، ص 224

[36] لقاء شفهي مع إبراهيم يحي عبد الرحمن، أحد أعيان المنطقة، في: على أحمد حقار، المرجع السابق، ص 226.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية https://journal.ziu-university.net
30/08/2024
المجلد الأول
العدد الخامس والعشرون م.1 : ص.ص483 -529 ISSN: 2958-8537 Issue: N25
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

1980	رزيقات الشمال، أم جلول والمهريا والعريقات والعطيفات ضد بني هلبة والبرقد والداجو والفور	المرعى والماء سرقة حيوانات
1980	التعايشة ضد السلامات	المرعى والماء وسرقة حيوانات
1982	الكبابيش والكواهلة ضد الميدوب والبرتي والزيادية	المرعى والماء وسرقة حيوانات واحتلال أراضي
1984	المسيرية ضد الرزيقات	المرعى والماء وسرقة حيوانات
1987	القمر والمراريت ضد الفلاته	المرعى والماء وسرقة حيوانات
1988	الفـور ضـد البديات (كبكابية)	نهب حيوانات، وثأر(قتل الفازعين)
1989	فور (كبكابية) ضد الزغاوة	دخول مناطق، سرق الحيوانات
1989	الفور ضد 27 قبيلة عربية	احتلال أراضي، تحامل عنصري وإخضاع سياسي
1990	القمر ضد الزغاوة	دخول أراضي، سرقة حيوانات
1994	حرب الزغاوة ضد العرب	(حول الموارد – على أساس عنصري)
1995	المساليت ضد العرب (النجعة – لهم بطون في تشاد - 1995/8/12)	(الصراع حول الأرض على أساس عنصري – تقسيم الحواكير بمرسوم من حكومة الولاية الذي منح العرب إمارات في دار مساليت ضعف أصحاب الأرض).
1996	العرب ضد المساليت	غارات ثأر (رد فعل عنصري، وثأر، حيث قُتل 48 شخص من المساليت وتم حرق قراهم).

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية https://journal.ziu-university.net

30/08/2024
المجلد الأول

ISSN: 2958-8537 Issue: N25 العدد الخامس والعشرون م.1 : ص.ص483 -529

Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

1998	العرب ضد المساليت	(الصراع على الحواكير على أساس عنصري)
1999	المساليت ضد العرب	(قتل المساليت مجموعة من العُمد الذين كانوا في طريقهم للمساليت للتفاوض).
2001	الرزيقات ضد الزغاوة	صراع عنصري، أسباب سياسية
2004	الرزيقات ضد المعاليا	المراعي والماء، والأرض (وهو صراع متجدد ومستمر منذ 1965 وحتى تاريخ إعداد هذا الكتاب)

المصدر: محمد سليمان، السودان حروب الموارد والهوية... ص 355، علي أحمد حقار، البعد السياسي للصراع القبلي في دارفور، الخرطوم، مطابع السودان للعملة، 2003.

الملاحظ أنه قبل العام 1989 كانت السمة الغالبة المشتركة لأسباب الصراع القبلي تتمثل في المرعى، والماء والأراضي (بين الرعاة والمزارعين). لكن بعد عام 1989 (عهد الإنقاذ) دخلت عوامل جديدة في أسباب الصراع القبلي في دارفور هي: تحامل عنصري، إخضاع سياسي، وتمرد. أبرز ذلك هو الصرا ع بين قبيلة الفور ضد عشرات القبائل العربية مجتمعة. هذا يعني أن الصراع القبلي في عهد حكومة الإنقاذ قد أخذ منحىً عنصرياً وعرقياً/إثنياً مع التسييس. و يُلاحظ من هذا الجدول أن الصراعات بين القبائل تنشأ لأسباب مختلفة وبين قبائل مختلفة ليست بالضرورة أفريقية وعربية.

لقد تأثّر الأبّالة والرزيقات الشمالية ومجموعة الرحل القبلية (وهي قبائل عربية) بشمال دارفور، بالتصحر والجفاف وشح الأمطار الذي أفقدهم مراعيهم وجفت مصادر المياه في مناطقهم، فهاجروا إلى مناطق الفور ومناطق المساليت بغرب دارفور ووصلوا إلى أقصى الجنوب الغربي لجنوب دارفور وإلى مناطق الداجو وغيرها من المناطق الأقل تضرراً بالجفاف

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية https://journal.ziu-university.net
30/08/2024
المجلد الأول
العدد الخامس والعشرون م.1 : ص.ص483 -529 ISSN: 2958-8537 Issue: N25
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

والتصحر.[37] وقد كانت القبائل العربية المختلفة طرفاً في 13 صراع من أصل 22 صراع في الفترة من (1986-2001م) بحسب الجدول السابق. كما يُلاحظ من الجدول السابق (رقم 4) أنه على الرغم من وجود عامل الصراع حول الماء والمرعى، إلا أن البعد العنصري والتسييس أصبح واضحاً منذ العام 1989.

الملاحظة العامة هنا هي أن الصراع القبلي ليس جديداً، كما أن أسبابه (التقليدية) قديمة متجددة. غير أن وتيرة (أو معدل) الصراع وحجمه قد ازداد في فترة حكومة الإنقاذ.

شكل (1) يوضح النسب المئوية لأسباب الصراع القبلي في دارفور:

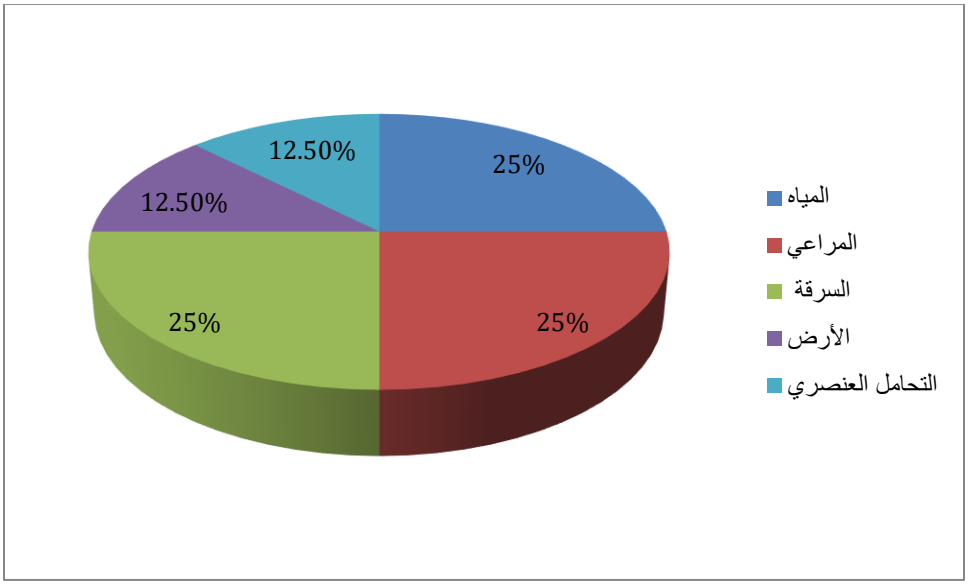

[37] على أحمد حقار، البعد السياسي للصراع القبلي في دارفور (الخرطوم: مطابع العملة السودانية، 2003)، ص 179، أنظر كذلك: محمد سليمان محمد، السودان: حرب الموارد والهوية، الخرطوم: دار عزة للنشر، 2006، ص ص 337 – 355.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية https://journal.ziu-university.net
30/08/2024
المجلد الأول
العدد الخامس والعشرون م.1 : ص.ص483 -529 ISSN: 2958-8537 Issue: N25
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

تشكل المراعي 25% وكذلك كل من المياه والسرقة من أسباب الصراع القبلي في دارفور. بينما يشكل الصراع حول الأرض والتحامل العنصري 12.5% لكلٍ. لكن مع ملاحظة أن هذا العامل (التحامل العنصري) قد ظهر مؤخراً.

غير أن مشكلة المياه والمراعي ترتبط بمشكلة التنمية. وترتبط مشكلة الأراضي والسرقة بالقوانين والأمن والسلطة والإدارة. وهذا كله – في التحليل النهائي – يرتبط بالسياسات والتشريعات – أي بالنخبة الحاكمة.

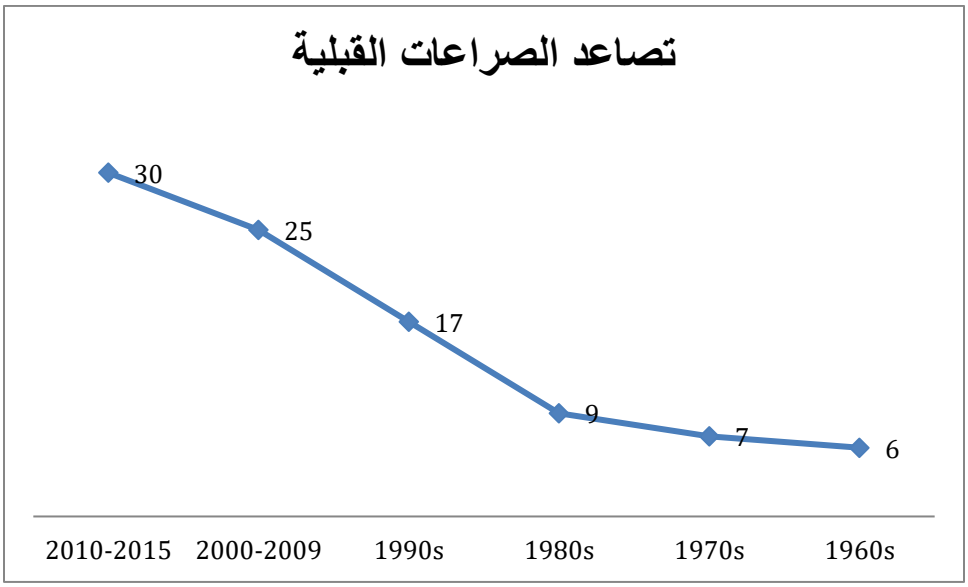

يوضح هذا الرسم البياني الاتجاه التصاعدي لحجم الصراع القبلي في دارفور في خلال أكثر من خمسين سنة.

بصورة عامة تتقاطع الصراعات القبلية (حول الموارد)، مع غياب التنمية العادلة الشاملة، مع التسييس، ظهور الحركات المسلحة، تدخل الحكومة لصالح طرف، الصراعات في دول الجوار وتدفق السلاح إلى دارفور، مع عسكرة القبائل وظهور المليشيات القبلية واختراق الحكومة لها من جانب والحركات المسلحة المختلفة من جانب آخر. تداخل هذه العوامل واللاعبين (interplay of actors and factors) أدى إلى وضع سياسي/اجتماعي/أمني مأزوم ومعقد سوف يضع بصماته على اتجاهات تشكيل مستقبل السودان السياسي والاجتماعي إذا لم تتم معالجته بصورة جذرية شاملة.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية https://journal.ziu-university.net
30/08/2024
المجلد الأول
العدد الخامس والعشرون م.1 : ص.ص483 -529 ISSN: 2958-8537 Issue: N25
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

في سياق "عسكرة القبائل" تكفي الإشارة هنا إلى أن أحد الولاة (حاكم ولاية) تم تعيينه حديثا ذهب لزيارة وتفقد إحدى القبائل المتصارعة بولايته لتهدئة القتال ووقف العنف. فوجد أن تلك القبيلة لديها قوة قوامها أكثر من (50) سيارة دفع رباعي (لاندكروزر) بكامل تسليحها وعتادها. وعندما تساءل عن هوي القوة وتبعيتها قالوا له أن هذه القوة لحماية القبيلة.[38] هذه الوضع ليس استثناء في قبيلة واحدة بل أصبح ظاهرة في دارفور. "ومن المؤسف انتساب معظم منسوبي القبائل من متعلمين وموظفين وسياسيين وتجار وقادة إدارة أهلية، للمشاركة في تكوينها... وأصبحت الصراعات القبلية المسلحة والحرب في دارفور لها أمراء يحركونها من أجل الكسب وتزيد "الحكامات" و"الهداي" و"البرامكة" و"السنجاكة" بأشعارهم الحماسية المشجعة للقتال – تزيد من أوار اشتعال الحرب وتأجيج نيران الصراع القبلي. وهؤلاء "الأمراء" يطلقون عليهم (العقداء)، و"العقيد هو قائد المجموعة المقاتلة ولديه مجلس يضم فرسان القبيلة. وهؤلاء يتسمون بالشراسة والشجاعة والاستبسال في أحلك الظروف."[39] كان نتاج ذلك المناخ أن تكونت قوات لكل قبيلة لحمايتها؛ وهناك أكثر من (10) قبائل لديها مجموعات مسلحة نشأت بعد اشتداد الصراع المسلح بدارفور لا سيما المكونات العربية وهو صراع أدى إلى مقتل أكثر من 1000 قتيل عام 2010 كما جاء في تقرير "مسح الأسلحة الصغيرة للباحثة (جولي فيلنت عن الصراع القبلي في دارفور).[40]

إذن ما زال للقبيلة حضور كثيف في بنية العقل السياسي السوداني – حاضرة بثقافتها ووعيها في الواقع السياسي السوداني. وهذا يضعف حصيلة البناء السياسي للمجتمع المدني السودان حيث حدث – كما سبقت الإشارة – تسييس للقبيلة في الريف وقبلنة للسياسة في الحضر وزاد نفوذها في المحاصصة السياسية وتأثيرها على العملية السياسية. والخطورة أنه على أساس هذا التسييس تمت عسكرة للقبائل وتحول بعضها لماليشيات فعززت بنيتها العسكرية والسياسية والاقتصادية، وأصبحت القبيلة قوية في كثير من المناطق وذلك خصما على هيبة السلطة الرسمية. وتكمن الخطورة

[38] محمد حمدان، أمراء الحرب في دارفور: حرب القبائل .. الأيادي الخفية"، تقرير في صحيفة السوداني، الخرطوم: 2015/4/26، ص 3.

[39] المصدر نفسه.

[40] تقرير صدر في جنيف 2010.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية https://journal.ziu-university.net
30/08/2024
المجلد الأول
العدد الخامس والعشرون م.1 : ص.ص483 -529 ISSN: 2958-8537 Issue: N25
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

الأكبر هنا في نمو "الهويات دون الوطنية" على حساب الهوية الوطنية الجامعة في دولة كالسودان ما زال البعض يعتبرها في حالة التكوين والصيرورة. وربما تتحول القبيلة في السودان إلى كيان أقوى من الدولة كما هو الحال في بعض دول الربيع العربي مثل اليمن وليبيا، وبالتالي من المتوقع أن تؤثر على عملية بناء المجتمع المدني المتماسك والدولة الوطنية المستقرة.

تبدو هذه الخطورة واضحة من خلال إعادة بعث القبلية حتى على المستوى القومي والاستقطاب الجهوي والعرقي وقد ظهرت في هذا السياق مفاهيم جديدة تعبر عن هذا الواقع المشوه والمنقسم جهويا والمستقطب إثنياً ومن هذه المفاهيم "أولاد البحر" (الجلابة) مقابل "أولاد الغرب والزرقة" مما خلق فجوة عميقة في نسيج المجتمع السوداني ككل. وأثّر ذلك على علاقة أبناء الغرب في نظرتهم وتعاملهم وموافقهم إزاء أبناء "الوسط النيلي" ونخبته التي تسيطر على الدائرة الداخلية لصنع السياسة واتخاذ القرار. وزاد من تعزيز هذا التصور لأبناء الغرب وقبائل مناطق الهامش الأخرى (جنوب النيل الأزرق وجنوب كردفان/جبال النوبة) أن التوظيف يتم على هذا الأساس؛ وقد تم التعبير عن ذلك رسميا بتضمين اسم القبيلة في الأرانيك (الاستمارات) الخاصة بالتقديم للوظائف في الدولة أو الحصول على الخدمات من الأجهزة الرسمية (مثل الأوراق الثبوتية/الهوية).

كذلك من الاسقاطات السلبية لذلك أصبح أبناء الغرب يفسرون كثيراً من الأحداث على هذا الأساس الجهوي/الإثني. ففي بضع أحداث العنف الطلابي التي وقعت في بعض الجامعات في العاصمة الخرطوم اتهم طلاب الغرب والأقاليم المهمشة حكومة المؤتمر الوطني بأنها وجهاز أمنها تستهدف أبناء دارفور من خلال الاعتقالات والتعامل معهم بعنف ممنهج. وهناك كثير من المواقع العنكبوتية ومواقع التواصل الاجتماعي المختلفة وصحف الكترونية معارضة للنظام (مثل صحيفة حريات) أخذت تتابع ذلك وتنشر بيانات طلاب الغرب والمناطق المهمشة وهي تدين هذا "الاستهداف" لطلاب دارفور.

خامساً: تسييس الإدارة الأهلية:

لقد لعبت الإدارة الأهلية دوراً فاعلاً في فض النزاع والمصالحة وتعزيز التعايش السلمي بين مختلف هذه المكونات الاجتماعية المتباينة. وعلى الرغم من انحسار الإدارة الأهلية خاصة في المراكز الحضرية إلا أنها ظلت تقوم بدور

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية https://journal.ziu-university.net
30/08/2024
المجلد الأول
العدد الخامس والعشرون م.1 : ص.ص483 -529 ISSN: 2958-8537 Issue: N25
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

"أصيل في تعزيز المصالحات، وهو دور مقبول اجتماعيا وسياسياً. فالإدارة الأهلية حكم محلي تقليدي وطبيعي حيث أن الانتماء للقبيلة ليس أمراً اختيارياً لأن الإنسان يجد نفسه فيها بحكم الانتماء الطبيعي لأواصر القرابة والدم والعشيرة."[41]

بصورة عامة تم وصف الإدارة الأهلية (native administration) بأنها "تنظيم شعبي يقوم بأداء أعماله الإدارية والاجتماعية بصورة طبيعية وبتكلفة إدارية قليلة وغير بيروقراطية جامدة. فهو يقوم على الأسرة الممتدة ذات الجذور التاريخية السابقة لقيام الدولة الحديثة. وتنبع أهميته في السودان لتعدد وضخامة مكونات نسيجه الاجتماعي. فالقبيلة كيان اجتماعي أصيل في المجتمع السوداني له أسلوب حياته وروابطه الأسروية على مدى تاريخ السودان القديم والحديث."[42] لذلك اعتمد الأتراك والبريطانيون على نظام "الإدارة الأهلية" كحكم محلي تقليدي فعال لإدارة أرياف السودان وبعض مدنه الصغيرة بصورة فعالة وبتكلفة إدارية رخيصة.

اعترف الانجليز أن القبيلة مؤسسة أجتماعية ذات أهداف لترقية حياة أفرادها حيث أوصى اللورد ملنر في تقريره عام 1925م، مع الأخذ في الاعتبار سياسات اللورد لوقارد التي تعرف بـ "سياسة الحكم غير المباشر" فصدر أول تشريع لتنظيم الإدارة الأهلية تحت مسمى "قانون سلطات المشائخ لسنة 1922م". ويبدو أن التشريع استهدف الشريحة الأقل استقراراً وكانت السلطات الادارية والتنفيذية والقضائية للفصل في الخصومات وحفظ الأمن.

ومنذ ثورة أكتوبر 1964 تعالت أصوات المثقفين مطالبين بحل الإدارة الأهلية. وتبعا لذلك صدر قرار سياسي بحل وتصفية الإدارة الأهلية في عام 1970. غير أن حلها ترك فراغاً إدارياً كبيرا أدى إلى فراغ أمني. كما ارتفعت نسبة الصراعات القبلية. وانفرط النظام في الأرياف والبوادي حيث يضعف الوجود الرسمي للسلطة .. واختلطت تبعا لذلك الأعراف القبلية في الزراعة والرعي .. وبرزت الاحتكاكات القبلية والصراعات الدموية المتكررة والمؤسفة والتي أصبحت أكثر دموية بدخول بعض المتغيرات الإقليمية حيث تدفق السلاح الناري الحديث من تشاد وأصبح القتال بين

[41] محمد أحمد محمد داني، "دور الإدارة الأهلية في تعزيز المصالحات الوطنية"، (ندوة نظمها مركز دراسات المجتمع، الخرطوم: 2010/10/7)، ص 2.

[42] محمد أحمد داني، المصدر السابق.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية https://journal.ziu-university.net
30/08/2024
المجلد الأول
العدد الخامس والعشرون م.1 : ص.ص483 -529 ISSN: 2958-8537 Issue: N25
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

القبائل بالسلاح الحديث بدلاً عن السلاح الأبيض مما زاد من عدد القتلى في كل مواجهة بين القبائل خاصة في دارفور. و"اهتزت حقوق الأفراد في تنافسهم على المناشط الاقتصادية والموارد، وبرزت طواهر الجريمة ممثلة في (السالف) والنهب المسلح، و(العندو كلاش يعيش ببلاش) و (كلاش يومين ولا اغتراب سنتين)."[43]

وفي فترة حكومة الإنقاذ – خاصة بعد تطبيق نظام الحكم الفدرالي في عام 1991 – حاولت الحكومة استيعاب هذه الإدارة الأهلية في هيكل إدارة الدولة. وغيرت تسمية الناظر إلى "أمير". وتدخلت الحكومة في تعيين الأمير (الناظر سابقاً) مما يعني الولاء للحكومة. وتم اعتبار ذلك نوعاً من "التسييس"، ففقدت الإدارة الأهلية هيبتها كما فقدت الكثير من سلطاتها في السابق. فتعرضت إلى نقد كثيف من نخب وزعماء الإدارة الأهلية في دارفور.

من أهم الأسباب هو الاجراءات التي اتخذتها الدولة بتجفيف مصادر تمويلها ومعينات عملها فاصبحت الإدارة الأهلية تعمل ومطلوب منها أن تقوم بكثير من الأدوار الصعبة ولكن ليس لها مقابل لما تقوم به، حيث صوب عدد من قيادات وأعيان الادارات الأهلية بدارفور انتقادات حادة للدولة وحملوها مسئولية الاوضاع التى آلت اليها الإدارة الأهلية بولايات دارفور. واتهموها بالتقصير وعدم الاهتمام وطالبوا الحكومة بأن تعيد إلى الإداراة الأهلية مكانتها التى كانت عليها فى السابق، وأن تجعل لها موطئ قدم فى الدستور الدائم القادم وان تضعها من ضمن أنظمة الدولة. كما طالبت قيادات الإدارة الأهلية الحكومة بضرورة توفير المعينات اللازمة للعمل حتي تضطلع الإدارة الأهلية بدورها الطبيعي.[44] وفي ظل عسكرة القبائل أصبحت المليشيات القبلية خارج سيطرة الإدارة الأهلية التي تأثرت بالتسييس خاصة في فترة حكومة المؤتمر الوطني (الحركة الإسلامية). ولقد تراجع دور الإدارة الأهلية كما يوضح الجدول التالي:

الجدول التالي الذي يوضح قائمة النزاعات القبلية الكبيرة في دارفور للفترة

[43] ذو النون عبد النبي، الإدارة الأهلية ودورها في التعايش السلمي والوحدة الوطنية، ندوة مركز دراسات المجتمع ... المصدر السابق.

[44] أنظر تغطية المؤتمر الصحفي لزعماء الإدارة الأهلية لدارفور في مجلس الولايات بالخرطوم، في صحيفة الصحافة، الخرطوم: 2012

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية https://journal.ziu-university.net
30/08/2024
المجلد الأول
العدد الخامس والعشرون م.1 : ص.ص483 -529 ISSN: 2958-8537 Issue: N25
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

بين (1932م و 2011م) وآلية فض النزاع

	القبائل المتنازعة	السبب	آلية فض النزاع	التاريخ	الولاية
1	الكبابيش – الكواهلة-البرتي(ع) الزيادية(ع) - الميدوب (أ)	المرعى	الإدارة الأهلية	1932	شمال دارفور
2	البرتي - الزيادية(ع)	عشور وحدود قبلية	الإدارة الأهلية	1956	شمال دارفور
3	الميدوب – الزيادية-الكبابيش(ع)	اتفاقية المالحة	الإدارة الأهلية	1957	شمال دارفور
4	الزيادية - البرتي(ع)	حدود قبلية	الإدارة الأهلية	1965	شمال دارفور
5	المعالية(ع)- الرزيقات(ع)	قبلي	الإدارة الأهلية	1964	جنوب دار فور
6	ميدوب - كبابيش(ع)	قتل ونهب	الإدارة الأهلية	1965	شمال دارفور
7	زغاوة- زغاوة(أ)	موارد المياه	الإدارة الأهلية	1976	شمال دارفور
8	البني هلبة(ع)- الرزيقات(ع)	قبلي	الإدارة الأهلية	1975	جنوب دار فور
9	الرزيقات(ع) – الدينكا(أ)	رعاة- ذراع	تدخل الحكومة	1976	جنوب دار فور
10	التعايشة(ع) – السلامات(ع)	رعاة – زراع	تدخل الحكومة	1978	جنوب دار فور
11	الرزيقات(ع) – المسيرية(ع)	رعاة – زراع	الإدارة الأهلية	1979	جنوب دار فور
12	البني هلبة(ع)- الرزيقات(ع)	ثأر قبلي	الحكومة	1982	جنوب دار فور
13	البرتي(ع) – الكبابيش(ع)	قبلي	الحكومة	1983	شمال دار فور

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية https://journal.ziu-university.net
30/08/2024
المجلد الأول
العدد الخامس والعشرون م.1 : ص.ص483 -529 ISSN: 2958-8537 Issue: N25
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

14	الفلاته(أ) – القمر(ع)	قبلي	الحكومةوالإدارة الأهلية	1984	جنوب دار فور
15	الرزيقات(ع) – الدينكا(أ)	قبلي	الحكومة	1986	جنوب دار فور
16	الفور(أ) – العرب	رعاة – زراع	الحكومة	1986	جنوب دار فور
17	الزغاوة(أ) – القمر(ع)	قبلي	الحكومةوالإدارة الأهلية	1987	ش و غ دارفور
18	الزغاوة(أ) – القمر(ع)	نهب	الحكومة	1989	ش و غ دارفور
19	الزغاوة(أ) – المعاليا(ع)	ثأر	مؤتمر قبلي	1990	جنوب دار فور
20	الزغاوة(أ) – الرزيقات(ع)	قبلي	مؤتمر قبلي	1990	جنوب دار فور
21	الزغاوة(أ) – بني حسين(ع)	قبلي	الحكومة	1991	شمال دار فور
22	الزغاوة(أ)- الميما(أ)	نهب	الحكومة	1991	شمال دار فور
23	الزغاوة(أ)- البرقد(أ)	نهب	الحكومة	1991	جنوب دار فور
24	الترجم(ع) – الفور(أ)	رعاة – زراع	الحكومة	1991	جنوب دار فور
25	الزغاوة(أ) – الرزيقات(ع)	ثأر	الحكومة	1993	جنوب دار فور
26	الزغاوة(أ) – الزغاوة	قبلي	إدارة أهلية	1996	شمال دار فور
27	المساليت(أ) – العرب	رعاة – زراع	إدارة أهلية	1996	غرب دار فور
28	الزغاوة(أ)- الرزيقات(ع)	قبلي	الحكومة	1996	جنوب دار فور
29	المساليت(أ) – قبائل عربية	قبلي	الحكومة	1998	غرب دار فور
30	الرزيقات(ع) – دينكا(أ)	ثأر	الحكومة	1998	جنوب دار فور
31	الداجو(أ)- الرزيقات(ع)	زراع – رعاة	الحكومة	1998	جنوب دار فور
32	الفور(أ) – الرزيقات(ع)	قبلي	الحكومة	1999	جنوب دار فور

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية https://journal.ziu-university.net
30/08/2024
المجلد الأول
العدد الخامس والعشرون م.1 : ص.ص483 -529 ISSN: 2958-8537 Issue: N25
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

33	المساليت(أ) – العرب	ثأر	الحكومة	2000	غرب دار فور
34	الزغاوة(أ)- القمر(ع)	نهب	الحكومة	2000	شمال دار فور
35	البرتي(ع) – الميدوب(ع)	قبلي	الحكومة	2000	شمال دار فور
36	الرزيقات(ع) –أولاد منصور(ع)	قبلي	إدارة أهلية	2001	جنوب دار فور
37	الفلاتة و الهبانية	قبلي	إدارة اهلية	2007	جنوب دارفور
38	الرزيقات والهبانية	أرض	إدارة اهلية	2009	جنوب دارفور

المصدر: الصادق أبكر موسى، أثر الصراع القبلي بين الرزيقات والمعاليا على الاستقرار السياسي والاجتماعي في ولاية شرق دارفور(رسالة ماجستير غير منشورة، مركز دراسات السلام والتنمية، جامعة نيالا)، 2007.

يوضح الجدول أعلاه تراجع دور الإدارة الأهلية في الثلاثة عقود الأخيرة بسبب حلّها ثم إعادة بتجريدها من كثير من سلطات ثم تسييسها. فمنذ مطلع التسعينات من القرن العشرين تدخلت الإدارة الأهلية مرتين فقط في محاولة احتواء النزاعات القبلية من جملة (18) نزاع في الفترة (1990 – 2009).

لقد شكا قادة الإدارة الأهلية من إهمال الدولة لدور الإدارة الأهلية فى الفترة الأخيرة خاصة بعد مؤتمر كنانة في العام 2011، وقال إن الإدارة الأهلية في دارفور أصبحت تواجه تحديات كبيرة متمثلة في قلة الامكانيات المادية والعربات التي تمكنها من الوقوف على بعض المشاكل التي تقع في مناطقهم. وأن الإدارة الأهلية على الرغم من العمل الذي يقومون به ليس لها موقع منصوص عليه في دستور الدولة وقوانينها وليست لهم حقوق في نهاية الخدمة كمعاشات ليعيش بها احفادهم. وأن الدولة كانت تمنحهم مكافآت مالية بسيطة عبر وزارة الداخلية ولكن وزارة الداخلية اوقفتها منذ فترة. وطالبوا الدولة بضرورة تحديد وضعية الإدارة الأهلية فى الدستور. وحذَّروا من العواقب الوخيمة

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية https://journal.ziu-university.net
30/08/2024
المجلد الأول
العدد الخامس والعشرون م.1 : ص.ص483 -529 ISSN: 2958-8537 Issue: N25
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

لإهمال الإدارة الأهلية... وأشاروا إلى ضرورة تحديد وضعيتها ومنحها صلاحياتها، وقالوا: "اذا كانت الدولة لا ترغب فى استمرار الإدارة الأهلية فنحن لا نرغب فى ذلك".[45]

وأشاروا إلى تعرض عدد من قيادات الإدارة الأهلية للتصفية الجسدية نتيجة لتصديهم للمشاكل التي وقعت بين القبائل ومنسوبيها: "نحن ساهمنا كإدارة أهلية فى كل المفاوضات التي أجرتها الحكومة مع الحركات المسلحة في كل من أبشي وأبوجا وسرت والدوحة من اجل إحلال السلام والإستقرار فى البلاد ولكن بعد كل هذا المجهود الكبير لم نجد المكافأة لنا كواحدة من الشرائح. وقد قمنا ب"300" مصالحة خلال الفترة الماضية."[46] وهذا مؤشر على الدور المهم الذي يمكن أن تلعبه الإدارة الأهلية في عملية بناء السلام إذا ما اهتمت بها الدولة من ناحية السلطات والامكانيات.

خاتمة:

وعلى الرغم من أن المجتمع السوداني في معظم مناطقه أصبح أقرب إلى المجتمعات الانتقالية إلا أن بعض أجزائه ما زالت تحكمها الأعراف والقبيلة مما يزيد من أهمية الإدارة الأهلية في هذه المرحلة لأن الإدارة الأهلية – كما يقول الخبراء – "أنها تنوب عن الدولة في حماية أموال وأرواح المواطنين وفض النزاع بينهم". [47] إذن من الحكمة أن تدعم الحكومة الإدارة الأهلية في مناطق دارفور وكذلك أرياف كردفان والشرق. وأن تترك لميكانيزمات المجتمع أن تؤدي دورها الطبيعي في التخلص من النظم التقليدية القديمة وفق قانون التطور الطبيعي للمجتمع. ويمكن بالمزيد من التعليم (مدخل للتوعية) أن تنحسر وتتلاشى الإدارة الأهلية تدريجيا كما حدث في المراكز الحضرية الأخرى في السودان. لكن الآن تحتاج عملية بناء السلام لجهود الإدارة الأهلية. فقادة الإدارة الأهلية هم أدرى بواقع مناطقهم والأدرى باللغة التي يخاطبون بها أهلهم وهم الوسيط الفاعل والمؤثر الذي يمكن أن يساعد في تنزيل استراتيجيات

[45] المصدر نفسه (ناظر عموم الهبانية اللواء «م» الناظر صلاح علي الغالي)

[46] المصدر نفسه

[47] ذو النون عبد النبي، المصدر السابق، ص 11.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية https://journal.ziu-university.net
30/08/2024
المجلد الأول
ISSN: 2958-8537 Issue: N25 العدد الخامس والعشرون م.1 : ص.ص483 -529
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

وسياسات السلام وتنفيذ برامج عملية بناء السلام. فهم لا غنى عنهم في هذه المرحلة. لكن مع ضرورة توعيتهم بأبعاد أدوارهم في هذه الظروف الاستثنائية والمرحلة الانتقالية التي يمر بها الإقليم في سياق رتق النسيج الاجتماعي الذي مزقته الصراعات والحروب وما زال الوضع متأثراً بإفرازات الحرب.

ويمكن تلخيص أسباب الصراع القبلي في السودان في:

أ. الصراع حول الأرض: فالأرض هي السبب الرئيسي للصراع – في بدايته عندما كان محدوداً على المستوى المحلي (الحواكير، المراعي، الزراعة: الرُحل ضد المزارعين).
ب. غياب التنمية الشاملة العادلة مما جعل القبائل تتصارع حول موارد محدودة وفقيرة.
ت. إلغاء الإدارة الأهلية، ثم إعادتها مع إضعافها وتسييسها مما نتج عنه فراغ إداري وفراغ أمني أدى إلى تصعيد الصراع القبلي والذي تقاطع مع ظهور الحركات المسلحة فاتسع وأصبح أكثر دموية.
ث. أداء المليشيات القبلية لأدوار أمنية هي من صميم علم الأجهزة الشرطية والقضائية (استعادة مسروقات، تَتبُّع المجرمين والسارقين، وربما حتى القصاص منه).
ج. انتشار السلاح بسبب الصراعات في دول الجوار.
ح. بعد ظهور الحركات المسلحة أصبح هناك استقطاب حاد للقبائل بين الحكومة والحركات مما نقل الصراعات القبلية إلى مراحل متقدمة وأكثر تعقيداً.

توصل البحث إلى ما يلي:

أولاً: الصراعات القبلية أضعفت سلطة الدولة ، وسوف تواصل الإضعاف بمساعدة عوامل أخري ، فكثير من مناطق دارفور حالياً تقع تحت سلطة الحركات وتطلق عليها مناطق محررة، أو تحت سيطرة مليشيات القبائل صاحبة الحواكير والتي تفرض سلطتها عند حدوث أي صراع مع قبيلة أخرى منافسة.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية https://journal.ziu-university.net
30/08/2024
المجلد الأول
العدد الخامس والعشرون م.1 : ص.ص483 -529 ISSN: 2958-8537 Issue: N25
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

ثانياً: بسبب تعرضها للتسييس أصبحت الإدارة الأهلية غير قادرة على إدارة الصراع أو احتواء النزاع كما كان في الماضي. وأصبحت تقف عاجزة أمام إقناع المليشيات المسلحة بدارفور.

ثالثاً: استمرار الحكومة في دفع الديات في حالات القتل بين القبائل شجع على استمرار الجرائم والعنف..

رابعاً: من الملاحظ أن الصراعات القبلية أصحبت تدار في داخل الخرطوم من قبل نافذين في الدولة، حيث لامانع لديهم في للوصول إلى السلطة على حساب مصالح أهلهم. لقد تم قبلنة السياسة في المناطق الحضرية مثل ما تم تسييس القبيلة في الريف. إذن جزء كبير من أسباب الصراعات القبلية هو التطلع للسلطة. وقد أصبح الانتماء القبلي صاحب الصوت الأعلى نتيجة للمحاصصة في توزيع فرص العمل. وهذه المحاصصة القبلية في الحكم أنتجت طبقة مستثمرة في الصراعات القبلية لذلك يسعون باستمرار لاستمرار النزاع القبلي بإثارة الفتن وبغيرها من الوسائل. لقد كانت دارفور سلطنة واحدة ، وتحل مشاكلها بالأعراف والإدارة الأهلية وكانت مستقرة والنزاعات القبلية محدودة وتحدث في فترات متباعدة (أنظر الجدول رقم 2)، بينما أصبحت الآن خمس ولايات تعج بالحروب الأهليه الطاحنة يلعب فيها الانتماء القبلي عاملا أساسيا. فالواضح ما يدور الآن يرجع إلى تسيس الإدارة الأهلية. وأصبح زعيم القبيلة يتحدث باسمها سياسياً بينما هو في الواقع لا يمثلها تمثيلاً حقيقياً لأن المؤتمر الوطني (الحزب الحاكم) هو الذي يقوم بتعيينه على أساس الولاء له، إلى جانب انتشار السلاح .

التوصيات:

1. تحتاج الدولة إلى فرض هيبتها ومراجعة الحكم الفيدرالي بحيث يتم تطبيق الفدرالية الحقيقية/الكاملة.
2. نظام دفع الديات بشكله القائم يشجع على القتل طالما أنه يساعد على تجنب العقوبة – لا سيما الإعدام. لذلك يجب إعادة النظر فيه.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية https://journal.ziu-university.net
30/08/2024
المجلد الأول
العدد الخامس والعشرون م.1 : ص.ص483 -529 ISSN: 2958-8537 Issue: N25
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

3. إعادة السلطات السابقة للإدارة الأهلية لتمكينها من أداء دورها كما كانت في السابق كأداء للضبط الاجتماعي وآلية فاعلة لحل النزاعات والصراعات القبيلة ريثما تنتهي هذه الإدارة تدريجيا بالتعليم والتنمية ونشر الوعي وتكون المؤسسات الرسمية قادرة على ملء الفراغ الإداري.
4. يجب على الحكومة أن تتوقف عن تسييس الإدارة الأهلية وتتعامل بحيادية مع كل مكونات المجتمع .
5. إعادة النظر في قوانين الأرض وتعديلها بما يحقق العدالة ويضع حد للصراع حولها.
6. محاربة التقاليد السالبة مثل المفهوم التقليدي للحاكورة، الذي يوازي نظام الإقطاع في أوروبا، والعمل على تغيير هذه الثقافة بثقافة المواطنة والقانون وسلطة الدولة المركزية والملكية العامة للأرض.
7. جمع السلاح من المواطنين ومن القبائل ومن المليشيات المختلفة وتقوية القوات النظامية وتكثيف نشرها في مناطق التوتر والنزاع.
8. على النخب أن تضع في أولوية جدول أعمالها بناء السلام؛ بأن تركز في حوارها مع المركز على المشروعات والتنمية وليست على المناصب، وذلك من أجل تحقيق تغيير اجتماعي حقيقي وقيادة حركة وعي شاملة تقضي على الجهل والتخلف وتوسع في مدارك وآفاق المواطن في دارفور بحيث يحدث تحول كبير في رؤية الفرد لدوره وانتمائه ليتجاوز الولاءات الضيقة (دون الوطنية) إلى الانتماءات والولاءات الوطنية وفوق الوطنية.